ترجيحات الإمام ابن جرير الطبري المعتمدة على الرأي

د. سميرة عبد الله عبد الرحمن زغلول*

سلم البحث في ١٧/٦/١٤٤٢هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٩/٧/١٤٤٢هـ

ملخص البحث:

تناول البحث ترجيحات الإمام ابن جرير الطبري المعتمدة على الرأي وذلك من خلال التعريف بحياة الطبري والتعريف بتفسيره "جامع البيان عن تأويل آي القرآن " ومكانته بين كتب التفسير والمنهج الذي اعتمده الطبري فيه، وتناول البحث أيضا معنى لفظ الترجيح والفرق بينه وبين لفظ الاختيار، ووضح البحث أنه ليس هناك كتاب من كتب التفسير يندرج تحت منهج بعينه وإنما كل تفسير فيه من منهج المنقول ومنهج المعقول، ولكننا نُسلكه في قائمة المنهج الغالب عليه وكتاب جامع البيان للطبري خير مثال على ذلك حيث اعتمد الطبري فيه على المنقول عن السلف في الترجيح بين أقوال المفسرين وقد اعتمد إلى جانب ذلك على الرأي في الترجيح بين الأقوال فهو وإن كان إماما في التفسير بالمأثور إلا أنه تجاوزه إلى الاجتهاد بالرأي مما يدل على استقلال فكره وعمق رأيه، وقد ساق البحث الأدلة على ذلك من تفسير الطبري مع دراستها دراسة وافية.

Abstract:

The research showed the preferences of Imam Ibn Jarir al-Tabari based on the opinion by dealing with the definition of the life of al-Tabari and the definition of his interpretation “Jami al-Bayan on the interpretation of the verse of the Qur’an” and its place among the books of interpretation and the method adopted by al-Tabari in it, and the research also dealt with the meaning of the term weighting and the difference between it and the term choice. There is no book of tafsir that falls under a specific method, but rather every interpretation in it is from the approach of the narrated and the approach of the reasonable, but we follow it in the list of the curriculum that prevails over him and the book of Jami al-Bayan by al-Tabari is the best example of this, as al-Tabari relied in it on the narrated from the predecessors in weighting between the sayings of the commentators In addition to that, he relied on the opinion in the weighting of the sayings, for although he was an imam in exegesis with the maxim, but he overlooked him to ijtihad with opinion, which indicates the independence of his thought and the depth of his opinion.

The research cited the evidence for that from Al-Tabari’s interpretation with a comprehensive study.

* أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بقسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم والآداب ببلقرن، جامعة بيشة، المملكة العربية السعودية.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى أله وصحبه ومن سار على هديه واقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد: فقد أنزل الله -عز وجل- القرآن فيه ما فيه من البيان العظيم، وقد سخر لخدمته العلماء من فقهاء ومفسرين، فاهتموا بتفسيره وبيانه لعامة المسلمين، وبذلوا الجهد الكبير في تفسير كلماته وبيان معانيه واستنباط الأحكام والفوائد منه، وقد اختلفت اتجاهاتهم تبعاً لاختلاف مذاهبهم، ومناهجهم، وثقافتهم، وهذا الاختلاف لا يقلل من شأنهم فالاختلاف ثروة علمية كبيرة يعرف قدرها أهل العلم، ولهذا تنوعت كتب التفسير، وقد يلاحظ أن علم التفسير لازال يحتاج إلى جهود كبيرة فإن العلماء لا يستطيعون أن يصلوا إلى كلمة نهائية واحدة في مفهوم الآية، ذلك لأن القرآن قطعي الثبوت ظني الدلالة، ولعل ذلك يفسر توالي المفسرين عبر الأجيال، ومع هذا فإن أحداً منهم لا يدعى أنه قدم معنى قاطعاً مانعاً للآية، فكتب التفسير بعامة تتعدد، وتتكاثر في محاولة لفهم مراد الله تعالى، لأن التفسير هو الكشف والبيان عما أراده الله من الآية بقدر الطاقة البشرية.

وقد حاولت في هذا البحث أن أتناول ترجيحات ابن جرير الطبري المعتمدة على الرأي في تفسيره (جامع البيان في تفسير آي القرآن) وذلك لمكانة الإمام ابن جرير الطبري لدى المفسرين وعلماء الإسلام كافة واحتياج تفسيره إلى جهود كبيرة لخدمته.

أسباب اختيار الموضوع:

١- ارتباط الموضوع بكتاب الله عز وجل فكل علم يتناول كتاب الله يعتبر من أجل العلوم والمعارف غير أن علم التفسير هو أقواها وأشرفها علاقة به.

٢- مكانة الإمام ابن جرير الطبري لدى المفسرين وعلماء الإسلام كافة.

٣- الوقوف على أصح الأقوال في تفسير الآيات من خلال دراسة ترجيحات الطبري المعتمدة على الرأي..

٤- إبراز أن اختلاف المفسرين يدل على اتساع دلالة النص القرآني، وتنوع طرائق التعبير فيه وبلوغها إلى درجة الإعجاز.

٥- بيان أهمية مراجعة ما ورد في كتب التفسير من أقوال كثيرة بلا ترجيح.

٦- احتياج علم التفسير إلى جهود كبيرة في مجال التنظير وقلة الكتابات في موضوع الترجيح بين أقوال المفسرين.

٧- إلقاء الضوء على اعتماد الإمام الطبري على الرأي في الترجيح بين الأقوال.

٨- الدلالة على أنه من الصعب أن نجد كتاباً يمثل منهجاً بعينه فقط لا يتعداه إلى غيره، ولكن التقسيم الذي اصطلح عليه المفسرون، إنما نظروا فيه إلى الغالب من هذا المنهج أو ذاك، وأن كل كتاب فيه قدر من النوعين.

الدراسات السابقة:

١- ظاهرة نقد القراءات ومنهج الطبري فيها: للأستاذ الدكتور إسماعيل أحمد الطحان.

٢- منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين أقوال المفسرين: من إعداد الطالب تمام كمال موسى الشاعر، وقد قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بجامعة النجاح في نابلس عام ٢٠٠٤.

٣- منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح: للدكتور حسين بن علي الحربي، أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة جازان.

٤- ترجيحات الإمام الطبري في تفسيره من أول سورة الفاتحة إلى آخر الآية (٢٠٢) من سورة البقرة. جمعا ودراسة: للدكتور حسين علي الحربي، وهي أطروحة دكتوراه مقدمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين قسم القرآن وعلومه عام ١٤١٧هـ.

٥- ترجيحات الإمام الطبري في تفسيره. من أول الآية (٢٠٣) من سورة البقرة إلى آخر الآية (٥٧) من سورة النساء – جمعا ودراسة: للدكتور عبد الحميد عبد الرحمن السحيباني، وهي أطروحة دكتوراه مقدمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين قسم القرآن وعلومه عام ١٤١٧هـ.

٦- ترجيحات الطبري في جامع البيان من خلال تفسير العُشر الأخير من القرآن) دراسة نظرية تطبيقية: المؤلف: حنان بنت نور مياه سركار علي سردا.

ويلاحظ من الدراسات السابقة أنه لم يتطرق أحد –في حدود اطلاعي– إلى ترجيحات الإمام الجليل محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠) المعتمدة على الرأي ولذلك كان اختياري لموضوع البحث.

خطة البحث:

تكون البحث من: مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وقائمة بالمراجع:

المقدمة: وتشتمل على: أسباب اختيار الموضوع، الدراسات السابقة، خطة البحث.

التمهيد: فيه توضيح لمكانة الإمام الطبري، وبيان لمدى استقلال فكره وعمق رأيه.

المبحث الأول: التعريف بالإمام الطبري والتعريف بكتابه جامع البيان في تأويل آي القرآن والتعريف بمعنى الترجيح والاختيار لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: ترجيحات الطبري المعتمدة على الرأي.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

التمهيد: توضيح مكانة الطبري، وبيان مدى استقلال فكره وعمق رأيه:

تفسير القرآن بالقرآن هو ما جاء بيان القرآن فيه واضحاً لا خلاف في دلالته، فما أُوجِزَ في مكان قد يُبْسطَ في مكان آخر، وما أُجْمِلَ في موضع قد يُبيَّن في موضع آخر، وما جاء مطلقاً في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى، وما كان عاماً في آية قد يدخله التخصيص في آية أُخرى.

ولهذا كان لا بد لمن يعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين على فهم مراد الله بما جاء عن الله، وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها، ويتخطاها إلى مرحلة أخرى، لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرف به من غيره. وعلى هذا، فالاستعانة بالقرآن من ضمن المقاييس التي اعتمد عليها الطبري في ترجيحاته[1]

وإذا كان العلماء قد ارتضوا أن ثمة منهجين في التفسير هما التفسير بالمنقول، والتفسير بالمعقول، وعدوا كتاب الطبري" جامع البيان عن تأويل آي القرآن" النموذج الأمثل للنوع الأول، وكتاب الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل وعيون الأقاويل للزمخشري هو المثل الأعلى للنوع الثاني، ومع ذلك فإن من الصعب أن نجد كتاباً يمثل منهجاً بعينه فقط لا يتعداه إلى غيره، ولكن هذا التقسيم الذي اصطلح عليه المفسرون، إنما نظروا فيه إلى الغالب من هذا المنهج أو ذاك، فكل كتاب فيه قدر من النوعين.

ولما كان لتفسير الطبري من أهمية كبيرة بين كتب التفسير حيث يُعد من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسرين رحمهم الله تعالى ؛ لما فيه من علم غزير حيث جمع فيه الإمام الطبري أقوال السلف الصالح في التأويل، وأقوال أهل الإعراب، واختلافات القراء، مرجحا بينها، لذلك وقع اختياري لموضوع البحث "ترجيحات الطبري التي اعتمد فيها على الرأي"، لتوضيح أن الإمام الطبري قد جمع بين المنقول من الروايات، وبين المناقشة والموازنة والترجيح مما يؤكد أن تفسير الطبري وإن كان يُعد النموذج الأمثل للتفسير بالمأثور إلا أنه حفل بقدر من التفسير بالرأي وهذا يدل أنه ليس هناك كتاب من كتب التفسير يندرج تحت منهج بعينه وإنما كل تفسير فيه من منهج المنقول ومنهج المعقول، ولكننا نُسلكه في قائمة المنهج

الغالب عليه. وخير مثال على ذلك الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره فهو كما اعتمد على المنقول عن السلف في الترجيح بين أقوال المفسرين اعتمد أيضا على الرأي في الترجيح بين الأقوال فهو وإن كان إماما في التفسير بالمأثور إلا أنه تجاوزه إلى الاجتهاد بالرأي مما يدل على استقلال فكره وعمق رأيه.

المبحث الأول

التعريف بالإمام الطبري وكتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن والتعريف بمعنى الترجيح والاختيار

التعريف بالإمام الطبري:

هو محمد بن جرير بن يزيد المكنى بأبي جعفر ويلقب بالطبري نسبة إلى طبرستان[٢]. ولد سنة أربع وعشرين ومائتين ونشأ في كنف والده، قضى حياته في طلب العلم، وكان شديد الذكاء منذ صغره فقد كان يتمتع بحافظة نادرة، ويجمع عدة علوم، ويحفظ موضوعاتها وأدلتها وشواهدها، وإن كُتُبه التي وصلتنا لأكبر دليل على ذلك، حتى قال: عنه أبو الحسن سري بن المغلس: "والله إني لأظن أبا جعفر الطبري قد نسي مما حفظ إلى أن مات ما حفظه فلان طول عمره "[٣]حيث حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين وكتب الحديث وهو ابن تسع سنين قال:" حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين"[٤]، وعُرف بالورع والزهد والقناعة باليسير واتصف بالكرم والسخاء والقوة في الحق والثبات عليه[٥] طلب العلم فرحل إلى البصرة ثم إلى الكوفة ثم إلى مصر ثم عاد إلى الشام ثم استقر ببغداد [٦] ولذلك يصعب حصر الشيوخ الذين لقيهم الإمام الطبري وأخذ عنهم العلم [٧] ذكر الذهبي أنه:" لقي نبلاء الرجال وكان من أفراد الدهر علما وذكاء وكثرة تصانيف قل أن ترى العيون مثله".[٨]

تلاميذه: تتلمذ على يده عدد غير قليل من بينهم أئمة ذاع صيتهم في بلاد الإسلام.[٩] قيل:" كان الطبري أحد أبرز العلّامات في عصره، وقد حضر مجالسه العديد من أبرز علماء عصره وتتلمذوا على يده، ومن هؤلاء أحمد بن كامل القاضي، ومحمد بن عبد الله الشافعي، ومخلد بن جعفر، وأحمد بن عبد الله بن الحسين الجُبْني الكبائي، وأحمد بن موسى بن العباس التميمي، وعبد الله بن أحمد الفرغاني، وعبد الواحد بن عمر بن محمد أبو طاهر البغدادي البزاز، ومحمد بن أحمد بن عمر أبو بكر الضرير الرملي، ومحمد بن محمد بن فيروز، وتعلم على يده كثير غيرهم."[١٠]

نبغ الطبري في مجالات متعددة منها: التفسير والحديث والفقه والتاريخ فقد

كان حافظا لكتاب الله بصيرا بالمعاني، فقهيا في الأحكام، عالما بالسنن عارفا بأقوال الصحابة والتابعين.[١١]

مؤلفاته:

للإمام الطبري مؤلفات كثيرة في فنون مختلفة منها[١٢]:

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
- تاريخ الرسل والملوك، كتاب ذيل المذيل.
- اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام.
- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأحبار، كتاب القراءات وتنزيل القرآن.
- صريح السنة.
- التبصرة في أصول الدين.
- كتاب اختلاف العلماء.
- كتاب الخفيف وهو مختصر في الفقه.
- كتاب القراءات.

شهد له العلماء بالعلم والنبوغ وأثنوا عليه فهو يُعد أحد أئمة العلماء حيث جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من علماء عصره قال: عنه الذهبي:" الإمام العلم المجتهد، عالم العصر صاحب التصانيف البديعة، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء وكثرة تصانيف، قل أن ترى العيون مثله"[١٣]

وقال: السيوطي: "الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الائمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عالماً بأحوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم"[١٤] وقال: أيضا" الطبري وكتابه أجلُّ التفاسير وأعظمها... فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط، فهو يفوقها بذلك"[١٥]وقال: عنه الإمام النووي: أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل الطبري[١٦]

وقال: أحمد ابن خلكان: العلم المجتهد عالم العصر صاحب التصانيف البديعة كان ثقة صادقا حافظا رأسا في التفسير إماما في الفقه والإجماع والاختلاف علامة في التاريخ وأيام الناس عارفا بالقراءات وباللغة وغير ذلك.[١٧]

وفاته:

ذكر الحموي وابن خلكان أنه توفي في بغداد لأربعة أيام بقين من شوال عام

٣١٠هـ[١٨]، وذكر ابن كثير والسبكي إلى أنها كانت ليومين بقيا من شهر شوال[١٩]. وعمره (٨٦).[٢٠]

التعريف بكتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن:

يُعد تفسير ابن جرير الطبري من أَجَلِّ التفاسير المأثورة وأعظمها قدرا"[٢١] حيث تناول فيه تفسير القرآن الكريم بذكر أقوال السلف بالأسانيد الثابتة، وذكر كلام أهل الإعراب من الكوفيين والبصريين، والتعرض للقراءات واختلاف القراءة، والتعرض للناسخ والمنسوخ وأحكام القرآن والخلاف فيه، والرد على أهل البدع بالحجة والبرهان، والترجيح بين الأقوال والتعليل لذلك، والإتيان بمرويات بني إسرائيل، وذكرها بأسانيدها، ويتعقب كثيرا منها بالنقد والتعليق. وقد جمع فيه بين الرواية والدراية، ولم يشاركه في ذلك أحد قبله ولا بعده".[٢٢]

– قال: عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقال:ات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين"[٢٣]

– وقال: عنه القفطي (ت: ٦٤٦): " لم ير أكبر منه ولا أكثر فوائد"[٢٤]

– وقد صرح العلماء بأنه" لم يُصنف أحد مثله"[٢٥]وقال: أبو حامد الإسفراييني "أنه لو سافر رجل إلى الصين ليحصل تفسير ابن جرير الطبري لم يكن كثيرا"[٢٦]

منهج الطبري في تفسيره:

ولم يكن الإمام الطبري يفسِّر القرآن بمجرد الهوى والتَّشهِّي والرأي، بل سار على منهج واضح وخطة حكيمة، وفوق ذلك فقد رسم الخطوط العريضة لتفسير القرآن الكريم، ووضع القواعد الصحيحة، واستنَّ القوانين الحكيمة، ووضع السياج الأمين للحفاظ على مقاصد الشريعة.

وقد قدَّم الطبري مقدمة مستفيضة لكتابه، تحتوي أصول التفسير في الإسلام؛ ليلتزم بها بنفسه، ويرسم الطريق لمن يأتي بعده، ويحدد الحدود لتناول كتاب الله تعالى؛ وقد عرض الطبري منهجه بإيجاز، بعد أن بيَّن فضل محمد بالنبوة والمعجزات، وفضل الله على هذه الأمة بحفظ كتابها ومعجزة نبيها، ثم بين فضل العناية بكتاب الله، ثم قال: "ونحن في شرح تأويله، وبيان ما فيه من معانٍ مُنشِئون كتابًا مستوعبًا، لكل ما بالنَّاس إليه الحاجة من علمه جامعًا، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيًا، ومخبرون في كل ذلك، بما انتهى إلينا من اتفاق الحُجَّة فيما اتفقت عليه الأمة، واختلافها فيما اختلفت فيه منه، ومبينو عِلَلَ كلِّ مذهب من مذاهبهم، وموضحو

الصحيح لدينا من ذلك، بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه" [٢٧]ثم شرع الطبري بتفصيل منهجه في أصول التفسير مع ذكر الأدلة الشرعية واللغوية، وضرب الأمثلة العملية من القرآن الكريم والسنة وكلام العرب واللغة والشِّعر [٢٨]

وتفسير الطبري ذو منهج خاص، يذكر فيه الآية أو الآيات من القرآن، ثم يعقبها بذكر أشهر الأقوال التي أثرت عن الصحابة والتابعين في تفسيرها، ثم يورد بعد ذلك رواياتٍ أخرى متفاوتة الدرجة في الثقة والقوة في الآية كلِّها أو بعض أجزائها، بناءً على خلافٍ في القراءة، أو اختلافٍ في التأويل، ثم يعقب كل ذلك بالترجيح بين الروايات، واختيار أولاها بالتقدمة، وأحقها بالإيثار، ثم ينتقل إلى آية أخرى، فينهج نفس النهج عارضًا ثم ناقدًا ثم مرجحًا؛ وهو إذ ينقد أو يرجح يرد النقد أو الترجيح إلى مقاييس تاريخية من حال رجال السند في القوة والضعف، أو إلى مقاييس علمية وفنية: من الاحتكام إلى اللغة التي نزل فيها الكتاب، نصوصها وأقوال شعرائها، ومن نقد القراءة وتوثيقها أو تضعيفها، ومن رجوع إلى ما تقرَّر بين العلماء من أصول العقائد، أو أصول الأحكام أو غيرهما من ضروب المعارف التي أحاط بها ابن جرير، وجمع فيها مادة لم تجتمع لكثير من غيره من كبار علماء عصره" وبعد أن بين الطبري ذلك وضع قواعد التفسير، وأصول التأويل، وحذَّر من التفسير بالرأي، والتلاعب في كلام الله تعالى بحسب الأهواء والأغراض، وأورد الأحاديث الكثيرة بأسانيدها في تحريم ذلك، وتجنَّب التفسير بالرأي المجرد، وقال: "إن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه؛ لأن إصابته ليست إصابة موقن أو محق، وإنما هو إصابة خارص وظانّ، والقائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم، وقد حرَّم الله ذلك"[٢٩]ويلتزم الطبري بما اتفق عليه المسلمون في درجات التفسير؛ فيلجأ أولاً إلى تفسير القرآن بالقرآن، ثم إلى تفسيره بالسُّنة البيانية وما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يتبع ذلك بالآثار الواردة عن الصحابة رضوان الله عليهم، وعن التابعين. إلا أن الإمام الطبري قد جمع بين المنقول من الروايات وبين المناقشة والموازنة والترجيح مما يؤكد أن تفسير الطبري وإن كان يُعد النموذج الأمثل للتفسير بالمأثور إلا أنه حفل بقدر من التفسير بالرأي.

وبذلك يكون الطبري قد سلك بالتفسير مسلكا علميا منهجيا يقوم على الاستدلال السليم، ويستند إلى الدليل، ويتجنب القول في دين الله بغير علم، وقد أكد

على منهجه هذا في مواضع متعددة من تفسيره، ومن ذلك قوله:"غير جائز أن يقال: في تأويل كتاب الله إلا بحجة واضحة[٣٠]

معنى الترجيح لغة واصطلاحا:

الترجيح لغة: مصدر من رَجّح الشَّيء يرجّح ترجِيحاً، يقال: رَجَحَ الشّيء بيده: وَزَنَه، ونَظَرَ مَا يُثقله، والرَّاجح: الوَازن، وأَرْجَح الميزان أي: أَثْقله حتى مَال، ورَجَحَ في مَجْلسه يَرجُح: إذا ثَقُلَ فَلم يَخفَّ.[٣١] يقال: رجَح الشيء، إذا زاد وزنُه، ورجَّحت الشيءَ -بالتثقيل-: فضَّلته وقوَّيته، وأرجحت الرجلَ -بالألف-: أعطيته راجحًا"[٣٢]، وقال: ابن فارس: (الراء والجيم والحاء: أصل واحد يدلُّ على رزانة وزيادة؛ يقال: رجح الشيء وهو راجح، إذا رزن، وهو من الرُّجحان)[٣٣]

الترجيح اصطلاحا: قال: فخر الدين الرازي: "الترجيح تقوية أحد الطرفين على الآخر فيُعلم الأقوى فيُعمل به ويُطرح الآخر."[٣٤]، وقال: الزركشي: "هو تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى بما ليس ظاهراً"[٣٥]

ومما سبق نستطيع أن نعرف الترجيح في اصطلاح المفسرين: بأنه تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل يدل على قوته أو على ضعف ما سواه.

وقد نرى أن البعض يخلط بين لفظَي: الاختيار والترجيح.

الاختيار في اللغة: مشتقٌ من الخير؛ وهو خلاف الشرِّ؛ قال: ابن فارس: (الخاء والياء والراء: أصله العطف والميل.[٣٦] وخار الرجل على صاحبه خيرًا، وخِيرةً، وخِيَرَةً: فضَّله على غيره[٣٧]

وأمَّا في اصطلاح الفقهاء، فقد عرف الاختيار بأنه: ترجيح الشيء وتخصيصه وتقديمه على غيره.[٣٨]

ولذلك نجد أنَّ لفظ الاختيار أعمُّ من لفظ الترجيح، فبينهما عموم وخصوص مطلق؛ فكلُّ ترجيح اختيار، وليس كلُّ اختيار ترجيحًا؛ ذلك لأنَّ الاختيار هو مطلق الميل إلى أحد الأقوال دون ذِكْر ما له من مزية على القول الآخَر، بينما الترجيح هو تقوية أحد الطرفين على الآخَر، ولا بد أن يكون لهذه التقوية من دليل، أو ذِكر ما له على الآخَر من مزية؛ ليُطرح، ويَسلَم الأول.

المبحث الثاني
ترجيحات الطبري المعتمدة على الرأي

كان الطبري في ترجيحه لمعنى على آخر، يضع أمام عينيه الارتباط داخل الآية نفسها، فقد راعي الارتباط داخل الآية نفسها، فالآية يفسر بعضها بعضا، فأولها

يفسر آخرها، وآخرها ينضوي تحت أولها، وهو في تفسيره لا يفهم اللفظة منفصلة عن غيرها من الألفاظ، ولا ينتزعها من مكانها، وإنما يفهمها في ضوء غيرها من ألفاظ الآية، ويبني اختياراته علي ذلك، لأن ألفاظ الآية ما هي إلا حبات عقد ينتظمها خيط واحد،[٣٩]" من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، لئلا يكون منقطعاً" فآخر الآية لابد أن يتسق مع أولها، ويتضح ذلك من تفسيره لقوله تعالى::[٤٠] ﴿مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ[٤١] وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾، قال:[٤٢] أول الآية يحتم أن قوله تعالى:: ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يحمل علي مشركي العرب، وليس علي غيرهم من أهل الكتاب فنجده أورد اختلاف العلماء في المعني بـ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، والمراد بقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾. فقال: البعض: المعني بالذين كفروا اليهود، وبالذين لا يعقلون أهل الأوثان.

وقال: آخرون: بل هم أهل ملة واحدة، ولكن المفترين المتبوعون، والذين لا يعقلون الأتباع، ثم بين أن أولي الأقوال بالصواب أن يقال: إن المعنيين بقوله:" وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ " الذين بحروا البحائر، وسيبوا السوائب، ووصلوا الوصائل، وحموا الحوامي مثل عمرو بن لحي، وأشكاله ممن سنوا لأهل الشرك السنن الرديئة، وغيروا دين الله دين الحق، وأضافوا إلي الله تعالى أنه هو الذي حرم ما حرموا، وأحل ما أحلوا، افتراء علي الله الكذب، وهم يعلمون، وهؤلاء هم أهل الشرك من العرب، وأن يقال: إن المعنيين بقوله:"وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ" أتباع من سن لهم هذه السنن من جهلة المشركين، فهم لاشك أكثر من الذين سنوا لهم ذلك...، ولا معني لقول من قال: عني بالذين كفروا أهل الكتاب، وذلك أن النكير في ابتداء الآية من الله تعالى علي مشركي العرب، فالختم بهم أولي من غيرهم إذا لم يكن عرض في الكلام ما يصرف من أجله عنهم إلي غيرهم".

والواقع أن الذين جاءوا بعد الطبري لم يكونوا كلهم علي مستوي واحد، إنما تفاوتت أقدارهم، فتنبه بعضهم إلي ما تنبه إليه الطبري، وقصرت همة البعض الآخرين عن إدراكه.

وقد رفض ابن عطية المعني الذي رفضه الطبري، وهو أن الذين كفروا، وافتروا هم أهل الكتاب، والذين لا يعقلون أهل ألأوثان، فقال:[٤٣] "المفترون هم المتبوعون، والذين لا يعقلون هم الأتباع، وكذلك نص الشعبي، وغيره وهو الذي تعطيه الآية، وقال: محمد بن أبي موسى: الذين كفروا وافتروا هم أهل الكتاب، والذين لا يعقلون هم أهل الأوثان. قال: القاضي أبو محمد هذا تفسير من انتزاع ألفاظ آخر

الآية عما تقدمها، وارتبط بها من المعني، وعما تأخر أيضا من "قوله:"وإذا قيل لهم" والأول من التأويلين أرجح".

وكذلك أبو حيان كرر نفس كلام ابن عطية، وزاد عليه قولا مروياً عن مكي بن أبي طالب في رفضه لهذا المعنى فقال:[٤٤] "وقال: مكي ذكر أهل الكتاب هناك لا معني له، إذ ليس في هذا صنع، ولا شبه، وإنما ذكر ذلك عن مشركي العرب، فهم الذين عنوا بذلك".

ووقف بعض المفسرين أمامها، ولم يذكروا الآراء فيها مثل البغوي[٤٥] فلم يذكر إلا معناها باختصار، وقال: الزمخشري:[٤٦]" ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا، ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم"، وقال: البيضاوي:[٤٧] "يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك، ونسبته إلى الله سبحانه وتعالى، وأكثرهم لا يعقلون أي الحلال من الحرام، والمبيح من المحرم والآمر من الناهي، ولكنهم يقلدون كبارهم"، وقال: البقاعي فيها:[٤٨] "ولما كانوا قد حرموا هذه الأشياء، وكان التحريم والتحليل من خواص الإله، وكان لا إله إلا الله، كان حكمهم عليها بالحرمة نسبة لذلك إلى الله سبحانه كذباَ، فقال تعالى: بعد أن نفى أن يكون جعل سيئاَ من ذلك: ﴿ولكن الذين كفروا﴾ أي ستروا ما دل فلذلك قال: ﴿يفترون﴾ أي يتعمدون بجعل هذه الأشياء من تحريم وتحليل ﴿على الله﴾ أي الملك الأعلى﴿الكذب﴾ فيحرمون ما لم يحرمه، ويحللون ما لم يحلله" وأكثرهم" أي هؤلاء الذين جعلوا هذه الأشياء ﴿لا يعقلون﴾ أي لا يتجدد لهم عقل، وهم الذين ماتوا على كفرهم، ثم لما حرموا هذه الأشياء اضطروا إلى تحليل الميتة فحرموا الطيب، وأحلوا الخبيث. ولما اتخذوه ديناَ واعتقدوه شرعاَ ومضى عليه أسلافهم.." ومن هنا يتضح أن الذين ذكروا معنى الآية دون بيان الآراء الأخرى، يفهم من هذا المعنى أنهم يرون أنها في المشركين بما يدلل على موافقتهم للطبري. وكذلك لم يذكر الشوكاني[٤٩] فيها شيئاَ.

وقد ذكر بعضهم الرأيين دون ترجيح كابن الجوزي فقد ورد عنه قولين فيها دون ترجيح قال:[٥٠] "فيها قولان احدهما: وأكثرهم، يعني الأتباع لا يعقلون أن ذلك كذب على الله من الرؤساء الذين حرموا. قال:ه الشعبي. والثاني: لا يعقلون أن هذا التحريم من الشيطان قال:ه قتادة ".

وكذلك السيوطي قال:[٥١]" الآباء جعلوا هذا وماتوا، ونشأ الأبناء وظنوا أن الله هو الذي جعل هذا فقال: الله: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ﴾: الآباء،..والأبناء أكثرهم لا يعقلون، يظنون الله هو الذي جعله"، وذكر الرأي الآخر

فقال: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ﴾ "أهل الكتاب"، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ قال: أهل الأوثان، وعن الشعبي: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ قال: الذين لا يعقلون هم الأتباع، وأما الذين افتروا فعقلوا أنهم أفتروا".

إن من يتتبع الآية في كلماتها يزداد قناعة برأي الطبري فالتعبير القرآني ذكر أولاً مشركي العرب بصفتهم فسماهم بأعمالهم فهم الذين بحروا البحائر، وسيبوا السوائب، ووصلوا الوصائل، وحموا الحوامي، ولا أحد غيرهم فعل ذلك، ولذلك فإن الطبري علي حق حين يخرج من الآية بأن المعني بذلك هم مشركو العرب، ولا أحد غيرهم، وهذا يمنع من أن يتجه فكر إلي أن المراد اليهود، فالطبري بني بعض اختياراته علي ما فهمه من معني الآية في ضوء مفرداتها بأكملها لأن ألفاظ الآية ما هي إلا حبات عقد ينتظمها خيط واحد.

ومن الآيات التي اتضح لنا فيها منهج الطبري في مراعاة الارتباط بين بداية الآية ونهايتها، وتحديده للمعنى بناءاً على ذلك ما ورد في تفسيره قوله تعالى:[٥٢]" ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾، ذكر الآراء التي قيلت في معني ﴿دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ واختلاف المفسرين في ذلك، على آراء منها[٥٣]" أنها نار الله التي أعدها الله لعباده.

وقال: آخرون: معنى ذلك: سأدخلكم أرض الشام، فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة.

وقال: آخرون: معنى ذلك: سأريكم دار قوم فرعون وهي مصر.

ثم رجح أن معني ﴿دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ نار الله التي أعدها علي وجه التهديد، ثم علل اختياره لهذا المعني، بأنه الأنسب لما ابتدأت به الآية، فقال:[٥٤]"وإنما اخترت القول الذي اخترناه في تأويل ذلك لأن الذي قبل قوله: جل ثناؤه ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أمر من الله لموسي، وقومه بالعمل بما في التوراة، فأولي الأمور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد علي من ضيعه، وفرط العمل لله، وحاد عن سبيله، دون الخبر عما قد انقطع."

ونجد أن المفسرين الذين جاءوا بعد الطبري كان فهمهم مختلفاً للآية، فمنهم من ذكر الآراء التي أوردها الطبري، ولكن دون أن يبدي رأيه، أو يرجح رأياً على رأي، ومنهم من أضاف إليها آراء أخري كالثعلبي قال: فيها[٥٥] "قال: أهل المعاني: هذا

كقول القائل لمن يخاطبه سأريك غداً. على وجه التهديد، وقيل مصيرهم في الآخرة أي جهنم، وقال: قتادة وغيره: سأدخلكم النار فأريكم منازل الكافرين، وقيل سأريكم دار فرعون، وقومه، وهي مصر، وقال: الكلبي: دار الفاسقين ما مروا عليه إذا سافروا من منازل عاد، وثمود والقرون الذين هلكوا، وقال: ابن زيد: يعني سنن الأولين، وقيل الدار الهلاك، وجمعه أدوار. وذلك أن الله تعالى لما أغرق فرعون أوحى إلى البحر أن يقذف أجسادهم إلى الساحل، ففعل فنظر إليهم بنو إسرائيل فأراهم هلاك الفاسقين"، ولم يرجح بين أي منها.

وكذلك الماوردي[٥٦] عدد هذه الأقوال ولم يرجح بينها، فقال: فيها أربعة أقاويل، وكذلك ذكر البغوي هذه المعاني[٥٧]، وأضاف إليها معنى جديداً وهو مصارع الكفر، وذكر ابن عطية هذه المعاني أيضاً، ولكن أضاف أن[٥٨] "الرؤية هنا رؤية العين، ويدل على أنها رؤية العين تعدي فعلها، وقد عدي بالهمزة إلى مفعولين، ولو كان من رؤية القلب لتعدى فعلها إلى ثلاثة مفاعيل، ولو قال: قائل المفعول الثالث يتضمنه المعنى فهو مقدر، أي مدمرة أو خربة على قول من قال: هي جهنم، قيل له ولا يجوز حذف هذا المفعول..ولو جوِّز لكان قبح في اللسان العربي"، وذكر ابن الجوزي[٥٩] نفس الآراء المذكورة عند الماوردي دون ترجيح أيضاً.

وقد بين الرازي[٦٠] أن في هذه الآية قولين، الأول: "أن المراد التهديد والوعيد على مخالفة أمر الله، وعلي هذا التقدير فيه وجهان الأول: هي جهنم أي فليكن ذكر جهنم حاضراً في خاطركم لتحذروا أن تكونوا منهم، والثاني سأدخلكم الشام، وأريكم منازل الكافرين من الجبابرة، والعمالقة، لتعتبروا بها، وقال: الكلبي هي المساكن التي كانوا يمرون عليها إذا سافروا، من منازل عاد وثمود والقرون التي أهلكهم الله. والقول الثاني: أن المراد الوعد، والبشارة بأنه تعالى سيورثهم أرض أعدائهم وديارهم".

وإذا كان الطبري قد حصر اختياره علي ما فهمه من كلمات الآية في مجموعها، فإننا نجد أن القرطبي قد تجاوز ذلك إلي اختيار المعني الذي يستشفه من مجموع الآيات التي تتناول الموضوع، سواء في السورة نفسها، أو في غيرها فإنه ذكر الأقوال الواردة في ذلك من[٦١] "منازل عاد وثمود، والقرون الذين أهلكوا، وقيل هي جهنم، أي فلتكن منكم على ذكر، وقيل أراد بها مصر... أو أرض الشام "، ثم قال: وهذان القولان يدل عليهما قوله تعالى:[٦٢]: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا"، وقوله تعالى:[٦٣]: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾، وقيل الدار الهلاك،

وجمعه أدوار وذلك أن الله تعالى لما أغرق فرعون أوحي إلي البحر أن اقذف بأجسادهم إلي الساحل قال: ففعل فنظر إليهم بنو إسرائيل فأراهم هلاك الفاسقين".

وقد كرر أبو حيان المعاني التي ذكرها ابن عطية، وأضاف إليها. قال:[٦٤]: "قيل: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي ما دار إليه أمرهم، وهذا لا يدرك إلا بالأخبار التي يحدث عنها العلم".

وقد ذكر ابن كثير كلام ابن جرير نصاَ، وبين أن رأيه صحيح قائلا[٦٥] "أي سترون عاقبة من خالف أمري، وخرج عن طاعتي كيف يصير إلي الهلاك والدمار؟ قال: ابن جرير: وإنما قال: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ كما يقول القائل لمن يخاطبه: سأريك غدا إلام يصير حال من خالف أمري" على وجه التهديد، والوعيد لمن عصاه، وخالف أمره وقيل معناه ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي من أهل الشام، وأعطيكم إياها وقيل: منازل قوم فرعون، والأول أولي، والله أعلم، لأن هذا كان بعد انفصال موسي وقومه عن بلاد مصر، وهو خطاب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه".

وقال: البقاعي فيها[٦٦]"أي الذين يخرجون عن أمري إلى ما أنهاكم عنه فأنصركم عليهم، وأمكنكم بفسقهم من رقابهم، وأموالهم من الكنعانيين، والحاثانيين، وغيرهم من سكان الأراضي المقدسة لتعلموا أن من أغضبني، وترك أمري أمكنت منه، وإنما ذكر الدار لئلا تغرهم منعتها إذا استقروا بها.. فإنه قال: إن أخذوا بالأحسن أريتهم دار الفاسقين، وأتممت عليهم النعمة ما داموا على الشكر، وإن لم يأخذوا أهلكتهم كما أهلك الفاسقين من بين أيديهم، فحذرهم لئلا يفعلوا أفعالهم إذا استقرت بهم الدار، ويؤكد كون المراد القدس لا مصر قراءة من قرأ: سأورثكم من الإرث، لأنها هي المقصودة بإخراجهم من مصر، وبعث موسى عليه السلام، ولا ينفي ذلك احتمال مصر أيضاً".

وذكر السيوطي[٦٧] المعاني التي ذكرها الطبري، وأضاف إليها أنها رفعت لموسى حتى نظر إليها، ولكنه لم يرجح رأي منها، وعدد الشوكاني[٦٨] الآراء الواردة عند الطبري، ولكن دون ترجيح رأياً منها، أو إضافة شيء إليها.

ويفهم الطبري الآية في ضوء اعتبارها ككل، لا يتجزأ عن بعضها البعض، ويتضح ذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى::[٦٩]﴿ارْجِعُواْ إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾، بين اختلاف أهل التأويل في تأويل ذلك[٧٠]، فقال: بعضهم: معناه، وما قلنا إنه سرق إلا بظاهر علمنا بأن ذلك كذلك، لأن صواع الملك أصيب في وعائه دون أوعية غيره. وقال: آخرون:

وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقته إلا بما علمنا... وكان الحكم عند الأنبياء: يعقوب وبنيه أن يؤخذ السارق عبداً ويسترق.

ثم نجده يرجح رأيا منهما استناداً علي وحدة الآية، بقوله: [٧١]"وأولي التأويلين بالصواب عندنا، قول من قال:، وما شهدنا بأن ابنك سرق، إلا بما علمنا من رؤيتنا للصواع في وعائه"، معللا ذلك[٧٢] "بأنه عقب قوله: ﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾. فهو بأن يكون خبرا عن شهادتهم بذلك أولي من أن يكون خبرا عما هو منفصل، و[٧٣] "سَرَقَ" يقرأ بالفتح والتخفيف: أي فيما ظهر لنا، ويقرأ بضم السين، وتشديد الراء، وكسرها أي نسب إلي السرقة.

وقد أضاف الثعلبي[٧٤] معني ثالث وهو:"ما كانت منا شهادة في عمرنا علي شيء إلا بما علمنا، وليست هذه شهادة منا، إنما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم"، ولكن دون أن يرجح بين هذه المعاني، وكذلك قال: البغوي[٧٥] أيضاً.

ووافق بعض المفسرين رأي الطبري مثل الزمخشري[٧٦] فلم يذكر إلا الرأي الذي رجحه فقال:"وما شهدنا عليه بالسرقة، إلا بما علمنا من سرقته وتيقناه، لأن الصواع استخرج من وعائه، ولا شيء أبين من هذا"، وكرر البيضاوي[٧٧] نفس ما قال:هـ الزمخشري، وكذلك فعل النسفي فقال:[٧٨]" ﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾ عليه بالسرقة "إلا بما علمنا "من سرقته وتيقنا إذ الصواع استخرج من وعائه"، وقال: البقاعي[٧٩] "وَمَا شَهِدْنَا" أي في ذلك إلا بما علمنا "ظاهراً من رؤيتنا الصواع يخرج من وعائه والشهادة: الخبر عن إحساس قول أو فعل، وتجوز الشهادة بما أدى إليه الدليل القطعي".

وقد تطرق الرازي إلي معني آخر فلسفي وراء هذه الكلمات فقال:[٨٠]"يدل علي أن الشهادة مغايرة للعلم بدليل قوله تعالى:: ﴿وما شهدنا إلا بما علمنا﴾، وذلك يقتضي كون الشهادة مغايرة للعلم ولأنه عليه السلام قال: إذا علمت مثل الشمس فاشهد... فالشهادة عبارة عن الحكم الذهني، وهو الذي يسميه المتكلمون بكلام النفس".

واكتفي بعض المفسرين بذكر الرأيين اللذين ذكرهما الطبري، ولكن دون ترجيح بينهما كالماوردي[٨١]، وابن عطية[٨٢]، وابن الجوزي[٨٣]، وأما القرطبي[٨٤] فقد أورد قول الزجاج قال:" سرَّق يحتمل معنيين الأول: أنه علم منه السرقة، والثاني: أنه أتهم بها"، وأما أبو حيان[٨٥] فقد ردد ما ذكره الزمخشري.

فيلاحظ علي الطبري أن النتائج عنده مترتبة علي الأسباب، فنهاية الآية هي نتيجة طبيعية لبدايتها نظراً لما في الآية القرآنية من وحدة في مضمونها، ومعناها، فإذا كانت اللفظة القرآنية تحتمل أكثر من معني ففي ترجيحه يضع أمام عينيه دائما

هذه الوحدة، ويترك ما عداها من معان، وقد ظهر ذلك واضحا في تفسيره لقوله تعالى::[٨٦]" ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾، بين أن أهل التأويل اختلفوا في معني وصف الله السموات والأرض بالرتق، وكيف كان الرتق، وبأي معني فتق[٨٧]" فقال: بعضهم أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما بالهواء.

وقال: آخرون أن السموات كانت مرتتقة طبقة ففتقها الله فجعلها سبع سموات، وكذلك الأرض كانت مرتتقة ففتقها فجعلها سبع أرضين.

وقال: بعضهم أن السموات كانت رتقا لا تمطر، والأرض كذلك رتقا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات.

وقال: بعضهم إنما قيل"ففتقناهما"لأن الليل كان قبل النهار.

ثم اختار الطبري الرأي القائل: "إن السموات والأرض كانتا رتقا من المطر، والنبات ففتقنا السماء بالغيث"، معللا بأن النتائج لابد لها من أسباب نستشف ذلك من قوله:[٨٨] "وإنما قلنا ذلك أولي بالصواب لدلالة قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ علي ذلك، وأنه جل ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة، إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه"، ولم يكن الطبري سباقا إلي هذا الرأي، أو مبتدعا له فقد سبقه الفراء إليه فقال:[٨٩] "فتقت السماء بالقطر، والأرض بالنبت"، ولكن دون التبرير المقنع الذي ذكره الطبري.

واختلف المفسرون الذين أتوا بعد الطبري في ذلك، فمنهم من اقتصر علي بعض الآراء التي ذكرها الطبري، دون تفضيل بينهما كالبغوي ذكر بعض هذه الآراء فقال:[٩٠]" كانتا شيئاَ واحداَ ملتزقتين، "ففتقناهما"، فصلنا بينهما بالهواء، والرتق في اللغة السد والفتق: الشق، وقال: مجاهد والسدي كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها، وجعلها سبع سماوات، وكانت الأرض مرتقة طبقة واحدة ففتحها فجعلها سبع أرضين"، وكرر هذه المعاني البقاعي وأضاف[٩١] "فتقنا السماء بالقطر والأرض بأنواع النبات"، وذكر الرواية عن ابن عباس، والضحاك، وقتادة، والرواية الأخرى عن مجاهد، وأبي صالح والسدي. وقال: العكبري[٩٢] "و"رَتْقًا" بسكون التاء أي ذاتي رتق، أو مرتوقتين، كالخلق بمعني المخلوق ويقرأ بفتحها، وهو بمعني المرتوق كالقبض والنقض.

وذكر الماوردي[٩٣] الآراء الثلاثة الواردة عند الطبري، ولكن دون ترجيح أيضاَ، وكذلك ابن الجوزي[٩٤].

ومن المفسرين من ذكر كل الآراء التي ذكرها الطبري، ولكن دون ترجيح:

كأبي حيان[٩٥] ولكنه بين رأي ابن عطية الموافق لرأي الطبري.فذكر الآراء التي أوردها الطبري، واختار نفس اختياره، وقال في تعليله:[٩٦] "السماء قبل المطر رتق، والأرض قبل النبات رتق، ففتقها الله تعالى بالمطر، والنبات كما قال تعالى:[٩٧] ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ، وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾، وهذا قول حسن يجمع العبرة، وتعديد النعمة، والحجة بمحسوس بين يناسب قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، أي من الماء الذي أوجده الفتق فيظهر معني الآية ويتوجه الاعتبار". ووافقهم القرطبي[٩٨] في ذلك قائلا "وبه يقع الاعتبار مشاهدة، ومعاينة ولذلك أخبر بذلك في غير ما آية ليدل على كمال قدرته".

واتخذ الرازي موقفاً مختلفاً سواء في الأسلوب، أو الرأي الذي رجحه[٩٩] فذكر الوجوه التي ذكرها الطبري، وزاد عليه وجها خامسا نقله عن أبي مسلم الأصفهاني قال: يجوز أن يراد بالفتق الإيجاد والإظهار، كقوله:[١٠٠]"﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، وكقوله:[١٠١] ﴿قالَ: بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾، فأخبر عن الإيجاد بلفظ الفتق، وعن الحال قبل الإيجاد بلفظ الرتق.

وقد بين الرازي أن العلماء رجحوا الوجه الذي رجحه الطبري بقوله:[١٠٢]"ورجحوا هذا الوجه علي سائر الوجوه بقوله بعد ذلك: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، وذلك لا يليق إلا وللماء تعلق بما تقدم، واختار الرازي أن يرتب هذه الأقوال علي حسب قوتها فقال:[١٠٣] "فإن قيل: فأي الأقاويل أليق بالظاهر؟ قلنا: الظاهر يقتضي أن السماء على ما هي عليه، والأرض على ما هي عليه كانتا رتقاً، ولا يجوز كونهما كذلك، إلا وهما موجودان، والرتق ضد الفتق فإذا كان الفتق هو المفارقة، فالرتق يجب أن يكون هو الملازمة، وبهذا صار الوجه الرابع والخامس مرجوحاً: يقصد به "قول أبي مسلم الأصفهاني، والخامس أن الليل سابق على النهار" ويصير الوجه الأول، ويقصد به أن المعنى كانتا شيئاً واحداً ملتزقتين ففصل الله بينهما، ورفع السماء إلى حيث هي، وأقر الأرض أولى الوجوه، ويتلوه الوجه الثاني. وهو أن كل واحد منهما رتقاً، ففتقها بأن جعل كل واحد منهما سبعاً، ويتلوه الثالث وهو أنهما كانا صلبين من غير فطور وفرج، ففتقها لينزل المطر من السماء، ويظهر النبات من الأرض".

وقد اختار المراغي[١٠٤] رأياً مخالفاً لما اختاره الطبري، ولكنه من ضمن ما ذكره الطبري، ويتفق مع روح الدعوة إلى الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وهو ما يقوله: علماء الفلك حديثاً: مرتوقتين أي ملتحمتين متصلتين ففصلناهما، وأزلنا اتحادهما. وهكذا يقول علماء الفلك حديثاً إذ يثبتون أن الشمس كانت كرة نارية دائرة

حول نفسها ملايين السنين، وفي أثناء سيرها السريع انفصلت أرضنا، والأرضون الأخرى، وهي السيارات من خط الاستواء الشمسي، فتباعدت عنها، وما زالت أرضنا دائرة حول نفسها، وحول الشمس على نظام خاص بحكم الجاذبية. قال: الأستاذ عبد الحميد سماحة وكيل المرصد الملكي المصري: إن النظرية الحديثة في كيفية مولد الأرض وأخواتها الكواكب السيارة من الشمس، هي افتراض اقتراب نجم كبير من الشمس فيما مضى من الزمن اقتراباً كافياً، فجذب من سطحها كتلة لم تلبث أن انفصلت من الشمس على شكل سهم مدبب الطرفين سميك في الوسط، ثم تكثفت هذه الكتلة في الفضاء البارد إلى كتل منفصلة، وبقيت هذه الكتل التي تمثل الأرض، وأخواتها الكواكب السيارة تدور بفعل الجاذبية للشمس في مداراتها حولها بلا انقطاع، وانطفأ نورها، لأن كتلياً كانت أصغر من أن تحتفظ بصفتها الأصلية قبل الانفصال، وهو إشعاع الضوء فالكواكب السيارة، ومنها الأرض لا نراها بضوء يتشعع منها، بل بضوء الشمس منعكساً على سطوحها، كما نرى القمر، وكما نرى وجوهنا بضوء الشمس أو المصباح منعكساً عليها. والكواكب السيارة......وبعد أزمنة طويلة، لا يعلم مداها، بردت القشرة الأرضية، وصارت صالحة لإنبات بعض أنواع النبات، ثم لسكنى الحيوان، ثم لسكنى الإنسان.

ولا شك أن هذه النظرية التي لم يكن يعرفها العرب، ولا الأمم المعاصرة لهم، ولم تعرف إلا منذ القرن السابع عشر الميلادي، ومحصت بعض التمحيص في عصرنا الحاضر، تدل أكبر دلالة على صدق محمد ﷺ، وأن القرآن وحي أرسله إليه ربه هداية للبشر، ورحمة للعالمين"

يبين مما سبق أن الطبري وإن ذكر في معني الآية أكثر من رأي فإنه يعود فيختار واحداً منها، ولا يكتفي بأن يرسله إرسالاً وإنما يحاول أن يدلل عليه، ليقنع القارئ به، وهنا في هذه الآية، وجدناه يذكر فيها الآراء المحتملة، لكنه يقف عند الرأي الذي يربط آخر الآية بأولها، لأن الآية وحدة كائنة لا تفهم كلماتها منفصلة عن بعضها البعض، وإنما يستدل بها في مجموعها علي المراد منها، وقد ظهر لنا اختلاف المفسرين في تناولهم لهذه الآية فيما بينهم كثيراً.

ومن الآيات التي تناولها الطبري، وظهر فيها مراعاته للوحدة الموضوعية داخل الآية تفسيره لقوله تعالى:[١٠٥] ﴿وَقالتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، بين اختلاف أهل التفسير في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ علي ثلاثة آراء[١٠٦]: وهي وهم لا يشعرون هلاكهم

علي يده.

والثاني: وهم لا يشعرون بما هو كائن من أمرهم وأمره.

والثالث: وهم لا يشعرون، أي بنو إسرائيل لا يشعرون أننا التقطناه. ثم اختار رأيا منها، يتناسب مع منهجه في مراعاة الارتباط، والوحدة الموضوعية داخل الآية، وأن الآية كيان واحد لا يتجزأ، وهو الرأي الأول:[١٠٧] "لا يشعرون بما هو كائن من هلاكهم علي يديه". مبررا ذلك بأن الأولي بالجملة أن تأتي بيانا، وتوضيحا للجملة السابقة عليها، فقال:[١٠٨]" لأنه عقيب قوله: ﴿وَقالتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾، وإذا كان ذلك عقبه، فهو بأن يكون بيانا من القول الذي عقبه أحق من أن يكون بيانا من غيره".

فنجد أن الرباط الذي يصل مابين نهاية الآية، وأولها يكمن في أن امرأة فرعون قد حاولت أن تحول بين زوجها، وقتل موسي لأنها علقت عليه الآمال، فهي في ظنها أنه سيكون سببا في سعادتهما، وأنهما سيتخذانه ولدا، وهذا تفكير إنساني واقعي في هذا المشهد، ولا يمكن أن يصل العقل البشري في موقف كهذا إلي أبعد من ذلك، غير أن الله سبحانه وتعالي قد أخفي عنهما ما سيحدث علي يد هذا الغلام، عندما يشب ويكبر، ما كانت تدري أن المجهول يخبئ أمرا آخر، لا يصل فكرهم إليه، إنه المجهول الذي لا يمكن لتفكيرهما أن يرقي إليه، أو يعرف ما وراءه، ولذلك كان طبيعيا أن تنتهي الآية بقوله تعالى: ﴿وهم لا يشعرون﴾.

وقد ذكر الفراء[١٠٩] الرأيين اللذين ذكرهما الطبري وهما "يعني بني إسرائيل، فهذا وجه، ويجوز أن يكون هذا من قول الله. وهم لا يشعرون بأن موسى هو الذي يسلبهم ملكهم" ولم يذكر الرأي الثالث وهو"وهم لا يشعرون بما هو كائن من أمرهم وأمره، ولم يرجح بينها، وكذلك فعل الثعلبي[١١٠]، ولكنه اختلف عن الفراء في الرأي الثالث الذي ذكره، فقال: "وهم لا يشعرون إلا وإنه ولدنا"، أما بالنسبة لغيره من المفسرين فقد اختلفوا في ذلك فمنهم من وافق الطبري، ومنهم من خالفه.

فممن وافق الطبري في ترجيحه الماوردي[١١١] فقال: "وهم لا يشعرون أن هلاكهم على يده، وفي زمانه".

وكذلك وافقه البغوي فقال:[١١٢]"وهم لا يشعرون أن هلاكهم على يده"، والرازي[١١٣] فلم يعرض إلا هذا المعنى قال: "وهم لا يشعرون "أنه الذي يذهب بملكهم"، وذكر الزمخشري نفس المعنى فقال:[١١٤] "وهم لا يشعرون أنهم علي خطأ عظيم في التقاطه، ورجاء النفع منه"، وكرر البيضاوي[١١٥] نفس كلام الزمخشري.

ومنهم من عدد هذه الروايات دون ترجيح كابن الجوزي، وأضاف على ما ذكره الطبري[١١٦]"وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ "أنه عدو لهم، وهم لا يشعرون أني أفعل ما أريد لا ما يريدون"

ومن العلماء من اختار رأيا مخالفا لما اختاره الطبري حيث قال: ابن عطية[١١٧]"، وهم لا يشعرون أنها أخته، وأنها من جملة لطائف الله تعالى له، ولأمه حسب الوعد الذي أوحي إليها"، ولم يذكر أيا من الآراء التي ذكرها الطبري. وقال: أبو حيان[١١٨] "وهم لا يشعرون أنه الذي يفسد ملكهم على يده، أو أنه عدو لهم، أو أني أفعل ما أريد لا ما يريدون. والظاهر أنه من كلام الله تعالى، وقيل هو من كلام امرأة فرعون، أي قالت ذلك لفرعون، والذين أشاروا بقتله لا يشعرون بمقالتها له، واستعطاف قلبه عليه، لئلا يغروه بقتله، وأعاد ما قاله الزمخشري"، وقال ابن كثير:[١١٩] "لا يدرون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه من الحكمة العظيمة البالغة، والحجة القاطعة".

ويبدو أن أحداً لم يلحظ أو ينبه إلى ما نبه عليه الطبري من الارتباط بين الآية ككل، وتحديد المعنى بناءاً على ذلك، حتى من اتفقوا معه في الرأي.

فيضع الطبري أمام عينيه دائما الارتباط بين الآية بعضها وبعض، ففي تفسيره لقوله تعالى:[١٢٠]﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ بين اختلاف أهل التأويل في بيان معني قوله تعالى: ﴿بما فتح الله عليكم﴾ علي خمسة آراء[١٢١] أولا بمعني بما أمركم الله به. والثاني بمعني إقرارهم بأنه نبي. والثالث: أنهم أخوة القردة والخنازير. والرابع: العذاب الذي كذبوا به. والخامس: بما أنزل عليهم في التوراة. ثم بين أن أصل الفتح في كلام العرب النصر، والقضاء، واختار رأيا من هذه الآراء يتفق مع منهجه الذي ارتضاه، وهو أن الآية القرآنية كيان واحد، مرتبط أولها بآخرها قال:[١٢٢] "والذي هو أولي بتأويل الآية: بعث محمد إلي خلقه، لأن الله جل ثناؤه إنما قص في أول هذه الآية الخبر عن قوله:م لرسول الله ولأصحابه: آمنا بما جاء به محمد فالذي هو أولي بآخرها أن يكون نظير الخبر عما ابتدأ به أولها، وإذا كان ذلك كذلك فالواجب أن يكون تلاومهم كان فيما بينهم فيما كانوا أظهروه لرسول الله، ولأصحابه من قوله:م لهم آمنا بمحمد".

ونجد أن الطبري قد سبقه بعض العلماء إلي هذا الرأي كالفراء حيث قال:[١٢٣] "هذا من قول اليهود لبعضهم، أي لا تحدثوا المسلمين بأنكم تجدون صفة محمد في التوراة، وأنتم لا تؤمنون، فتكون لهم الحجة عليكم".

واختلف المفسرون الذين جاءوا بعد الطبري، فمنهم من عرض الآراء دون ترجيح بينها كالبغوي[١٢٤]، وابن عطية[١٢٥]، والقرطبي[١٢٦]. ومنهم من وافق الطبري في رأيه، فلم يعرض إلا الرأي الذي اختاره الطبري كالرازي قال:[١٢٧] "بما فتح الله عليكم في كتابه من نعته وصفته ليحاجوكم به"، وكذلك قال: النسفي[١٢٨]. ومن المفسرين من اكتفي بذكر بعض الآراء التي ذكرها الطبري دون ترجيح، كابن الجوزي[١٢٩]قال: "فيه قولان: أحدهما بما قضى الله عليكم أي من العذاب، الثاني: بما علمكم الله من صفة محمد"، والزمخشري[١٣٠] قال: "بما بين لكم في التوراة من صفة محمد، أو قال: المنافقون لأعقابهم يرونهم التصلب في دينهم: أتحدثونهم، إنكاراً عليهم أن يفتحوا عليهم شيئاً في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود"، والبيضاوي[١٣١] قال: "بما بين لكم في التوراة من نعت محمد، أو الذين نافقوا لأعقابهم إظهاراً للتصلب في اليهودية، ومنعاً لهم عن إبداء ما وجدوا في كتابهم، فينافقون الفريقين، فالاستفهام على الأول تقريع، وعلى الثاني إنكار ونهي"، وذكر الشوكاني[١٣٢] العذاب، وقيل المراد بما فتح الله عليهم في التوراة من صفة محمد، ونجد أن اختيار الطبري لهذا الرأي له دلالة خاصة علينا أن نفطن إليها، ونحن نفهم الآية فهو مبني علي التناسب بين بداية الآية، ونهايتها، فلا يصح أن نقف عند عبارة منها، ونغمض عينينا عن بقيتها، وإنما لابد من قراءة الآية، وفهمها علي أنها وحدة واحدة، تتناول معني واحداً فنجد أن بداية الآية تتحدث عن إعلانهم للإيمان بمحمد، وإن كان إيماناً غير صادق فيكون معني قوله تعالى: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ﴾ مرتبط بهذا الإيمان المعلن من جهتهم في بداية الآية، وهي أنهم علي علم بأنه رسول مرسل من عند الله سبحانه وتعالي بصفته الخاصة.

وقال: فيها البقاعي[١٣٣] "عليكم" من العلم القديم الذي أتاكم على ألسنة رسلكم، أو بما عذب به بعضكم".

فكان الطبري يراعي دائماً في اختياره لمعنى على آخر وحدة الآية، وارتباطها، مع ترتيب المعاني التي ترد في السورة نفسها، ويظهر ذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى:[١٣٤] ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾، قال:[١٣٥] "إن أهل التأويل اختلفوا في المعني بالهاء والميم، اللتين في قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ علي رأيين: الأول اليهود والنصارى، والثاني النصارى وحدهم، واختار الطبري الرأي الثاني: وهو أن المعني بالإغراء بينهم النصارى في هذه

الآية خاصة، وأن الهاء والميم عائدتان علي النصارى دون اليهود معللا ذلك بأن ذكر الإغراء في خبر الله عن النصارى بعد تقصي خبره عن اليهود، وبعد ابتدائه خبره عن النصارى، فأن لا يكون ذلك معنيا به إلا النصارى خاصة أولي من أن يكون معنيا به الحزبان جميعا لما ذكرنا." ففيما نحن بصدده نجد أن الحديث عن اليهود قد انتهي، وبدأ الحديث عن النصارى في موضوع يخصهم، وهو إيقاع العداوة بينهم لما قاموا به من ترك كتابهم، ولذلك فإن الأولي أن يعود الضمير إليهم ولا يعود إلي اليهود، لأن الضمير يعود على أقرب مذكور.

ويلحظ اختلاف موقف المفسرين في هذه الآية، فوافق كثيرً منهم الطبري في رأيه، قال: البغوي[١٣٦] "قيل أراد بهم اليهود والنصارى، فاكتفى بذكر أحدهما، والصحيح أن الآية في النصارى خاصة لأنه قد تقدم ذكر اليهود".

وابن كثير قال:[١٣٧] "ففعلوا كما فعل اليهود خالفوا المواثيق، ونقضوا العهود، ولهذا قال: ﴿فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءِ﴾."أي ألقينا بينهم العداوة والتباغض لبعضهم بعضاَ، ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة، وقال: النسفي[١٣٨] قال:" بين فرق النصارى المختلفة"، وكذلك المراغي[١٣٩]حددها في النصارى.

واكتفى أكثر المفسرين بعرض الرأيين الذين ذكرهما الطبري، ولكن دون ترجيح بينهما كالزمخشري[١٤٠]، وابن الجوزِيِّ قال:[١٤١] "فيها قولان أحدهما أنها ترجع إلى اليهود والنصارى، والثاني ترجع إلى اليهود"، وابن عطية فقال:[١٤٢] "والضمير في بينهم يحتمل أن يعود على اليهود والنصارى، لأن العداوة بينهم موجودة مستمرة، ويحتمل أن يعود على النصارى فقط، لأنها أمة متقاتلة بينها الفتن إلى يوم القيامة"، وقال الرازي:[١٤٣] "وفي قوله: وجهان: أحدهما: بين اليهود والنصارى.والثاني: بين فرق النصارى، فإن بعضهم يكفر بعضاَ إلى يوم القيامة"، وقد علل القرطبي رأي كل فريق، ولكن دون أن يرجح رأياَ على آخر فقال:[١٤٤] "بينهم" ظرف للعداوة، أشار بهذا إلى اليهود والنصارى لتقدم ذكرهما. وقيل: أشار إلى افتراق النصارى خاصة..لأنهم أقرب مذكور، ولأنهم افترقوا إلى اليعقوبية والنسطورية والملكانية، أي كفر بعضهم بعضاَ"، وقال: أبو حيان[١٤٥] "الضمير في بينهم يعود على النصارى..، وقال: الزجاج النصارى منهم النسطورية واليعقوبية والملكانية كل فرقة منهم تعادي الأخرى، وقيل الضمير عائد على اليهود والنصارى أي بين اليهود والنصارى، فإنهم أعداء يلعن بعضهم بعضاً، ويكفر بعضهم بعضاً"، وقال البقاعي:[١٤٦] "أي بين النصارى بعد أن جعلناهم فرقا متباينين بتفريق الدين، وكذا بينهم وبين اليهود".

ومنهم من لم يتعرض لتحديدهم، ولم يبين علي من يعود الضمير، فلم يعرض لهذه القضية من الأصل كالعكبري[١٤٧] حيث اكتفي ببيان أن "بينهم "ظرف لأغرينا أو حال من العداوة، وبيان المعني في الآية أي تباغضوا إلي يوم القيامة دون بيان من هم هل اليهود والنصارى أم النصارى فقط.

ولقد استوفت الآيات السابقة الكلام عن اليهود في عصيانهم لله، وتحريفهم لكتابهم وبدأ الكلام عن النصارى، وما ارتكبوه من مخالفة مما أوقع بينهم الشقاق، ومن هنا فالكلام عن اليهود قد وصل مداه، وبدأ الحديث عن النصارى بما ذكرنا، ومن هنا فإن الطبري كان محقا فيما ذهب إليه من القول بأن الضمير"هم" في قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ يعود علي النصارى، وليس علي اليهود، وقد أكد ذلك النحاس في قوله:[١٤٨] "والأولي أن يكون للنصارى لأنهم أقرب" ووافقه كما بينا كل من البغوي وابن كثير. ثانياً: اختياره المعنى المعتمد على وحدة الدلالة القرآنية للكلمة في السورة، ونقصد به مراعاة الطبري في اختياراته للمعنى الوحدة الموضوعية داخل السورة بين الآيات بعضها وبعض.

لم يهتم الطبري بالوحدة الموضوعية داخل الآية في ترجيحاته لمعني على آخر فقط، بل تعدي ذلك إلى أن يبث إلينا من خلال ترجيحاته الوحدة الموضوعية داخل السورة ككل، فالتفت إلي وحدة السورة القرآنية في عصر مبكر من حياة التفسير، قال: الزركشي[١٤٩]" ذكر الآية بعد الأخرى، إما أن يظهر الارتباط بينهما لتعلق الكلام بعضه ببعض، وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد، والتفسير"

وسوف نتناول ذلك من خلال دراستنا لعدة نقاط:

أولاَ: ترجيحه للمعنى المعتمد على وحدة الدلالة اللغوية للكلمة في السورة.

التفت الطبري إلي وحدة الدلالة اللغوية للكلمة داخل السورة، وما تحمله من دلالة، فبني اختياراته في بعض الأحيان علي أن التعبير القرآني حين يستخدم الكلمة قد يخرجها من الدلالة اللغوية المحضة إلي دلالة قرآنية، فإذا كانت اللفظة القرآنية تحتمل أكثر من معني يرجح منها معني يتناسب مع سياق الآيات داخل السورة، لأن السورة بكاملها تعتبر كياناً واحداً، فكلمة محضرون التي وردت في قوله تعالى:[١٥٠] ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾، بين الطبري أن أهل التأويل اختلفوا في معني ذلك[١٥١] فقال: بعضهم: معناه ولقد علمت الجنة أنهم لمشهدون الحساب. وقال: آخرون. معناه إن قائلي هذا القول سيحضرون العذاب في

النار. ثم بين أن[152] "أولي القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إنهم لمحضرون العذاب". معللا ذلك "بأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة، إنما عني به الإحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع". فبين لنا أن لفظة الإحضار وردت في نفس السورة في آيتين سابقتين بمعنى الإحضار في العذاب، فوضع أمام عينيه المعني التي وردت عليه فيهما، ومن هنا رجح أن يكون معناها نفس المعني السابق. قال: ابن فارس[153]"(حضر) الحاء والضاد والراء إيراد الشيء، ووروده ومشاهدته. وقد يجيء ما يبعد عن هذا وإن كان الأصل واحد"،[154]"والحضور: نقيض المغيب والغيبة..وكلمته بحضرة فلان وبمحضر منه أي بمشهد منه"،[155] ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾،[156]" أي المحضرين العذاب"،[157]"حضر الغائب حضوراً قدم من غيبته، بمحضره أي بمشهده"،[158] و"حضر كنصر وعلم حضوراً وحضارة: ضد غاب".

فمن خلال بيان معنى هذه الكلمة لغوياً، نجد أن الطبري بني اختياره في معني هذه الآية علي أن التعبير القرآني حين يستخدم الكلمة، قد يخرجها من الدلالة اللغوية المحضة، فكلمة محضرون في اللغة تعني الشهود، وهو ضد الغيبة، ولكن الطبري خرج بهذه اللفظة من الحقل اللغوي إلي دلالة قرآنية، قصرها علي حضور العذاب، واستدل علي ذلك بأن معناها كذلك في الآيات السابقة عليها، فقد وردت في قوله تعالى:[159] ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾، وفي قوله تعالى:[160] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾، فكذلك هي في هذه الآية بنفس المعني السابق في الآيات الأخرى، فراعى في ترجيحه لهذا المعنى وحدة الدلالة للفظة القرآنية داخل السورة، لأنه وضع أمام عينيه وحدة الجو النفسي لهذه السورة، وهو معاينه المشركين للعذاب، وحضورهم فيه جميعاَ، والأمم السابقة، وكذلك كفار قريش، وقد التفت بعض المفسرين إلي هذه الظاهرة في هذه الآية، فذهبوا إلي ما رجحه الطبري، فذكر الثعلبي نفس المعنى فقال:[161] لَمُحْضَرُونَ في النار"، وكذلك قال: البغوي[162]: "لَمُحْضَرُونَ" في النار"، وعرض القرطبي الرأيين اللذين ذكرهما الطبري، ثم ذكر كلام الثعلبي، وما احتج به فقال:[163]: "لَمُحْضَرُونَ "في النار قاله قتادة، وقال: مجاهد: للحساب. قال: الثعلبي: الأول أولي لأن الإحضار تكرر في هذه السورة، ولم يرد به غير العذاب"، وكذلك ما أورده النسفي قال:[164]" لَمُحْضَرُونَ "في النار"، ووافق كذلك أبو حيان الطبري فقال:[165]" وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ "أي الملائكة" إِنَّهُمْ "أي الكفرة المدعين نسبة بين الملائكة، وبين الله تعالى "لَمُحْضَرُونَ" النار، يعذبون بما يقولون، وأضيف ذلك إلى

علم من نسبوا لذلك مبالغة في تكذيب الناسبين"

وكذلك المراغي ذكر نفس الرأي الذي رجحه الطبري وهو[١٦٦]" ولقد علمت الملائكة الذين ادعى المشركون أن بينه تعالى، وبينهم نسباً أن هؤلاء المشركين محضرون إلى النار، ومعذبون فيها، والخلاصة إن هؤلاء سيعذبون في النار علي تقوله:م علي الله بغير علم".

وكذلك فصل ابن عطية هذا المعنى فبين العائد في الضمير" إِنَّهُمْ" فقال:[١٦٧] "من جعل الجنة الشياطين جعل العلامة في "علمت" لها والضمير في"إِنَّهُمْ" عائداً عليهم، أي جعلوا الشياطين بنسب من الله، والشياطين تعلم ضد ذلك من أنها ستحضر أمر الله، وثوابه، وعقابه، ومن جعل الجنة الملائكة جعل الضمير في" إِنَّهُمْ" للقائلين هذه المقال:ة، أي علمت الملائكة أن هؤلاء الكفرة سيحضرون ثواب الله، وعقابه وقد يتداخل هذان القولان، وكذلك ذكر الزمخشري في هذه الآية أن الضمير إما للكفرة، وفي هذا اختار نفس اختيار الطبري، وإما للملائكة، وأيضاً جعل معنى "لَمُحْضَرُونَ " بمعني لمعذبون في النار فقال:[١٦٨]"والضمير في ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ للكفرة، والمعنى: أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة، وقد علم الملائكة أنهم في ذلك كاذبون مفترون، وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون، والمراد المبالغة في التكذيب، حيث أضيف إلى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة..ويجوز إذا فسر الجنة بالشياطين أن يكون الضمير في"إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ" لهم، والمعنى أن الشياطين عالمون بأن الله يحضرهم النار"، وكذلك قال: ابن الجوزي[١٦٩]، ولكن باختصار.

وكذلك قال: الرازي[١٧٠]:" أن الذين قال:وا هذا القول يحضرون النار، ويعذبون، وقيل علمت الجنة أنهم سيحضرون في العذاب، فعلى القول الأول الضمير عائد إلى هذا القول، وعلى الثاني عائد إلى الجنة أنفسهم.

وكذلك الشوكاني[١٧١] عرض الرأيين اللذين ذكرهما الطبري، ووافقه في اختياره، ولكن بتعليل مختلف عن تعليله، فعلل ذلك تبعا لإطلاق المعني حيث قال: "أي اعلموا أن هؤلاء الكفار الذين قالوا هذا القول يحضرون النار، ويعذبون فيها، وقيل علمت الجنة أنهم أنفسهم يحضرون للحساب، والأول أولي لأن الإحضار إذا أطلق فالمراد العذاب، وأضاف رأياً ثالثاً: وهو وقيل المعني ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون إلي الجنة.

واختار البقاعي[١٧٢] رأياً مختلفاً قال:"إِنَّهُمْ" أي الجن كلهم "لَمُحْضَرُونَ" أي إليه بالبعث كرها ليعاملوا بالعدل مع بقية الخلائق يوم فصل القضاء..فهم أقل من أن

يدعى لهم ذلك.

واكتفي بعضهم بالحياد فذكر الرأيين اللذين ذكرهما الطبري في معني الآية، دون ترجيح وذلك مثلما فعل الماوردي[١٧٣] فقال: "في قوله: "لَمُحْضَرُونَ" تأويلان أحدهما: للحساب. والثاني: محضرون في النار".

فلقد سبق الطبري عصره حين استشرف أن الكلمة في الاستعمال اللغوي لا تقف عند دلالتها المعجمية، ولكن المعنى العام يضفي عليها دلالة جديدة، كذلك لاحظ الطبري أن القرآن الكريم عندما استخدم لفظة "محضرون "خرج بها من حقلها اللغوي الضيق، فجعلها تجعل الإنسان يستشعر ما بعدها حتى لو لم ينطق به. إنه العذاب الذي أُعد للكفار، وقد اتفق معه معظم المفسرين فيما اختاره وإن أختلف بعضهم في التعليل.

ثانياَ: اختيار معنى الكلمة في ضوء الارتباط بين آيات السورة.

فالسورة القرآنية يربطها خيط واحد، وكلماته حبات في عقد تنتظم فيه، ويعني هذا أن الكلمة القرآنية تتأثر بموقعها من هذا العقد فيخرج بها التعبير عن حياتها المعجمية إلي معني جديد يستشفه القارئ من خلال الإلمام بما ورد في السورة بكاملها، ففي تفسيره لقوله تعالى:[١٧٤] ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ﴾، قال الطبري:[١٧٥] اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال: بعضهم معناه: أفنضرب عنكم ونترككم أيها المشركون فيما تحسبون فلا نذكركم بعقابنا. وقال: آخرون أفنترك تذكيركم بهذا القرآن.

ثم بين أن أولي التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله أفنضرب عنكم العذاب فنترككم، ونعرض عنكم لأنكم كنتم قوما مسرفين، لا تؤمنون بربكم"، معللا ذلك بمناسبة هذا المعني للآيات،[١٧٦] "لأن الله تبارك وتعالي أتبع خبره عن الأمم السالفة قبل الأمم التي توعدها بهذه الآية في تكذيبها رسلها، وما أحل بها من نقمته، ففي ذلك دليل علي أن قوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً﴾، وعيد منه للمخاطبين به من أهل الشرك، إذ سلكوا في التكذيب بما جاءهم عن الله رسوله مسلك الماضين قبلهم". فاختار المعني المناسب للآيات التالية في السورة.

وقد اختلف المفسرون الذين جاءوا بعد الطبري في ذلك، فنجد أن بعضهم عرض الآراء التي ذكرها الطبري فقط، ولكن دون ترجيح كابن الجوزي[١٧٧] وابن كثير[١٧٨]. وذهب بعضهم بالآية إلي تفسير مجازي كالزمخشري، واختار معنى مختلفاً عما اختاره الطبري فقال:[١٧٩] ﴿افنضرب عنكم الذكر صفحا﴾ بمعني أفننحي عنكم

الذكر ونذوده عنكم علي سبيل المجاز، من قوله:م ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل،....وصفحاً علي وجهين إما مصدر من صفح عنه إذا أعرض، منتصب على أنه مفعول له، على معنى: أفنعزل عنكم إنزال القرآن، وإلزام الحجة به إعراضاً عنكم، وإما بمعنى الجانب من قوله:م: نظر إليه بصفح وجهه، على معنى: أفننحيه عنكم جانباً، فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانباً، وامش جانبا"، وقال: البيضاوى[١٨٠] "المراد إنكار أن يكون الأمر على خلاف ما ذكر من إنزال الكتاب على لغتهم ليفهموه".

وزاد بعضهم رأيين آخرين، ولكنه لم يرجح بينهما، كالثعلبي قال:[١٨١]" اختلفوا في معناه فقال قوم: أفنضرب عنكم العذاب ونمسك، ونعرض عنكم، ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم، وقال آخرون: معناه أفنمسك عن إنزال القرآن، ونتركه من أجل أنكم لا تؤمنون به فلا ننزله، ولا نكرره عليكم، وقال الكلبي: أفنترككم سدى لا نأمركم ولا ننهاكم، وقال الكسائي: أفنطوي عنكم الذكر طياً، فلا تدعون ولا توعظون. وهذا من فصيحات القرآن، والعرب تقول لمن أمسك عن الشيء وأعرض عنه، ضرب عنه صفحاً والأصل في ذلك إنك إذا أعرضت عنه وليته صفحة عنقك". وأضاف الماوردي قولاً خامساً فقال:[١٨٢]" ويحتمل قولاً خامساً: أن نوعد، ولا نؤاخذ ونقول فلا نفعل". وأضاف البغوي[١٨٣] معنى آخر على الثعلبي مختلفاً عما ذكره الماوردي قال:" أفنضرب عنكم بذكرنا إياكم صافحين معرضين". وزاد بعض المفسرين رأياً واحداً على ما ذكره الطبري كالرازي[١٨٤] وهو" أفنرد عنكم النصائح، والمواعظ، ولكن دون ترجيح بينها. وزاد القرطبي[١٨٥] عما ذكره الرازي: أفنهلككم فلا نأمركم ولا ننهاكم، وذكر أيضاً ما قاله الرازي وهو: أفنطوي عنكم الذكر طياً، فلا توعظون، ولا تؤمرون.

ورغم تعدد الآراء التي أوردها المفسرون في الآية، إلا أننا نرى أن معظمهم، قد نظروا إلي ما ذكره الطبري في الآية من أن المراد بالذكر العذاب، وإن لم يرجحوا هذا الرأي إلا أنه كان من ضمن الآراء التي أوردوها ولم يشر أي منهم إلى الارتباط بين الآيات في السورة ككل.

وهنا سؤال يطرح نفسه لكي يتأكد لنا ما ذهبنا إليه من أن معني الكلمة إنما يستشف من الوحدة العضوية التي انتظمت السورة، فالواقع أنه غلب علي آيات هذه السورة أن معظمها يتحدث عما وقع علي الأمم السابقة التي استهزأت برسلها، وكذبتهم فاستحقت العذاب من الله. ويجب أن نلفت النظر إلي الآيات التي ليس فيها عن العذاب شيء، إنما هي تبكيت للذين كفروا، والذين أشركوا، وهي تعداد لنعم الله

عليهم، وكان عليهم أن يقابلوا هذه النعم بالشكر لكنهم أنكروا هذه النعم، ولم يعترفوا بها، وتمادوا في طغيانهم فانتقم الله منهم، وأصبحوا مثلا يضربه الله سبحانه لما يقع بالمكذبين من عذاب، وفي السورة يسري هذا الإحساس بالعذاب في قصة إبراهيم عليه السلام، وعدم إيمانهم بما جاءهم نه، فحل عليهم عذاب الله، وهكذا تتحدث السورة عن حال الذين يصمون أذانهم عن ذكر الرحمن، فإنهم سوف يحل عليهم انتقام الله، وعذابه، وتتحدث السورة عن قوم فرعون، وتكذيبهم بالآيات التي جاء بها موسي، وكيف كانت عاقبتهم إذ أغرقهم الله أجمعين، وجعلهم مثلا للآخرين، ثم تتناول السورة قصة عيسي عليه السلام، ودعوته لقومه، وعصيانهم له، وما أعده الله لهم من عذاب أليم، وينتهي الأمر بتأكيد الله سبحانه وتعالي أنه ما ظلم أحداً، ولكن جميعهم كانوا أنفسهم يظلمون.

فهذه الآية ما هي إلا لبنة في هذا البناء الذي يتحدث عن العذاب الواقع علي الكفار، لذلك كان علينا أن نؤيد الطبري في ترجيحه أن المراد بقوله تعالى: أفنضرب عنكم العذاب فنترككم، ونعرض عنكم لأنكم كنتم قوما مسرفين، ويجب أن نفهم أن الآية، بل الكلمة القرآنية في السورة بأجمعها وردت في ضوء هذا الموضوع الذي تضمنته، وهو عذاب الأمم السابقة لعصيانها الرسل الذين بعثوا إليها ليكون في ذلك عبرة لقريش حتى لا تتردي في هذا المصير فتقع في ذلك الهلاك.

فنجده يفهم اللفظة في ضوء أحداث السورة، والجو النفسي الذي يسودها، فيحمل الكلمة علي دلالة تتفق مع الأحداث السابقة عليها، ففي تفسيره لقوله تعالى:[١٨٦] ﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾، ذكر[١٨٧] أن أهل التأويل اختلفوا في معني ﴿فَضَحِكَتْ﴾ وفي السبب الذي من أجله ضحكت علي أقوال:

- منها ضحكت الضحك المعروف تعجباً من أنها، وزوجها إبراهيم يخدمان ضيفانهم بأنفسهما تكرمة لهم، وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون.
- وقال: آخرون بل ضحكت من أن قوم لوط في غفلة، وقد جاءت رسل الله لهلاكهم.
- وقال: آخرون بل ضحكت ظنا منها بهم أنهم يريدون عمل قوم لوط.
- وقال: آخرون بل ضحكت حين بشرت بإسحاق تعجباً من أن يكون لها ولد على كبر سنها.
- وقال: آخرون بل ضحكت لما رأت بزوجها إبراهيم من الروع.
- وقال: آخرون بل معني فضحكت في هذا الموضع أي فحاضت.

– وقال: آخرون بل ضحكت سرورا بالأمن منهم لما قالوا لإبراهيم لا تخف.

ثم بين أن أولي ألأقوال في ذلك بالصواب قول من قال:[١٨٨]" معني قوله: فضحكت: فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله"، معللا ذلك لأنه" ذكر عقب قوله:م لإبراهيم:[١٨٩]" ﴿لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ فإذا كان ذلك كذلك، وكان لا وجه للضحك، والتعجب من قوله:م لإبراهيم لا تخف كذلك، كان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط.

وفيما نحن بصدده من الآي نراه يحمل الكلمة علي دلالة تتسق في مدلولها مع ما سبقها من نمط، والجو الذي ساد التعبير القرآني في السورة نفسها، وقد اختلف الطبري مع من سبقه في ذلك الاختيار فنجد أن الفراء قال:[١٩٠]:" ضحكت سرورا بالأمن"، وأنكر أن تكون ضحكت بمعني حاضت حيث قال:"أما قوله:م فضحكت بمعني حاضت فلم نسمعه من ثقة".

وذكر بعضهم هذه المعاني المذكورة عند الطبري كالماوردي[١٩١] فحددها في ثلاثة معان، وهي الأول بمعني حاضت، والثاني تعجبت، والثالث بمعني ضحكت الضحك المعروف سروراً ثم برر تأويل كل معني من هذه المعاني في هذا الموقف، ولكنه لم يرجح رأياً منها على آخر، وكذلك فعل ابن الجوزي[١٩٢].

وذكر بعض المفسرين كل المعاني التي ذكرها الطبري مثل الثعالبي[١٩٣]. ولكنه لم يرجح بينها، وكذلك قال: البغوي فقد حدد معني ضحكت في معنيين[١٩٤] أولاً: بمعنى حاضت، ولكنه قال: الأكثرون على أنه المراد منه الضحك المعروف، ثم وضع كل المعاني التي ذكرها الطبري تحت هذا الضحك المعروف فقال: "واختلفوا في سبب ضحكها"، وعدد هذه الأسباب المذكورة، ولكنه أيضاً لم يحدد لنا معنى بعينه، وإن كان استبعد أن تكون بمعني حاضت كما رأينا. وأضاف أبو حيان[١٩٥] "أن الملائكة مسحت العجل فقام حياً فضحكت لذلك"، ولكنه لم يرجح بين أيٍ من هذه المعاني.

وخالف بعض العلماء ما ارتضاه الطبري كالرازي، فاختار أن ضحكت بمعني أنها فرحت بزوال الخوف عن إبراهيم، معللاً ذلك كما قال: القاضي[١٩٦] "إن ذلك السبب لابد وأن يكون سبباً جرى ذكره في الآية، وما ذاك إلا أنها فرحت بزوال الخوف عن إبراهيم عليه السلام حيث قالت الملائكة ﴿لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ ....وبالجملة فقد كان ضحكها بسبب قول الملائكة لإبراهيم عليه السلام ﴿لا تخف﴾ فكان كالبشارة".وعلى هذا يكون الرازي قد اختار معنى مخالفاً للطبري، ولكن اتبع نفس

المنهج، وهو مراعاة الارتباط بين آيات السورة.

واختار البقاعي رأياً آخر مختلفاً عما اختاره الطبري، ولم يعرض لنا غيره وهو أنها[١٩٧] تعجبت من تلك البشري "بالولد" لزوجها مع كبره، وربما ظنته من غيرها لأنها – مع أنها كانت عقيماً– عجوزاً فهو من إطلاق المسبب على السبب إشارة إلى أنه تعجب عظيم.

رابعاً: ترجيح معني الآية في ضوء المعنى العام للسورة.

فلقد وضع الطبري اللبنات الأولى للوحدة الموضوعية داخل السورة، وذلك من خلال ترجيحاته لمعنى على معنى آخر، ففي اختياراته يشير دائماً إلي أنه يجب أن يكون هناك ترابط بين الآية، والآيات الأخرى المذكورة في السورة، وهو ما أشرنا إليه بأن آيات السورة تمثل بناءاً متكاملا، تأخذ كل كلمة موضعها فيه، ولذلك تنبه الطبري لذلك، وأن علينا أن نتفهم المعني العام للسورة بأكملها، حتى نستطيع أن نقف علي الدلالة المقصودة في الآية القرآنية، قال: الزركشي[١٩٨]" والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جسيم"، والدليل علي ذلك في تفسيره لقوله تعالى:[١٩٩] ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾، أورد اختلاف المفسرين في الذين عنوا بقوله: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾[٢٠٠]

– فقال: بعضهم عني بقوله: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ أهل الإسلام. روي ذلك عن السدي، والضحاك، وابن عباس.

– وقال: آخرون أهل الشرك به من عبدة الأوثان، روي ذلك عن مجاهد.

– وقال: آخرون عني به أهل الكتاب خاصة، روي ذلك عن الضحاك.

وقد حدد الطبري رأيه في هذه الآية بناءاً على الآيات السابقة عليها، والمعاني الواردة فيها مؤكداً على الترابط بين الآية، وما سبقها من الآيات فقال:[٢٠١] "وأولي التأويلين بالصواب في ذلك ما قال: مجاهد من أنه عني بقوله: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ مشركي قريش". معللاً ذلك بالسياق الذي وردت فيه هذه الآية مع غيرها من الآيات داخل السورة، فقال:[٢٠٢] "لأن المسلمين لم يجر لأمانيهم ذكر فيما مضي من الآي قبل قوله:" لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ"، وإنما جري ذكر أماني نصيب الشيطان المفروض، وذلك قوله تعالى:[٢٠٣] " ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً﴾، وقوله تعالى:[٢٠٤]

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾، فإلحاق معني قوله:" لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ "بما قد جري ذكره قبل أحق، وأولى من إدعاء تأويل فيه، لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل، ولا أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا إجماع من أهل التأويل"، ثم قال: " ومما يدل على صحة ما قلنا في تأويل ذلك: وأنه عني بقوله: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ مشركي العرب كما قال: مجاهد: إن الله وصف وعد الشيطان ما وعد أولياءه، وأخبر بحال وعده، ثم أتبع ذلك بصفة وعده الصادق فقال:[٢٠٥] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً﴾، وقد ذكر جل ثناؤه مع وصفه وعد الشيطان أولياءه، وتمنيه إياهم الأماني بقوله: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾، كما ذكر وعده إياهم، فالذي هو أشبه أن يتبع تمنيته إياهم من الصفة، بمثل الذي أتبع عدته إياهم به من الصفة، وإذ كان ذلك كذلك صح أن قوله: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إنما هو خبر من الله عن أماني أولياء الشيطان، وما إليه صائرة أمانيهم، مع سيء أعمالهم من سوء الجزاء، وإنما ضم جل ثناؤه أهل الكتاب إلي المشركين في قوله: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، لأن أماني الفريقين من تمنية الشيطان إياهم التي وعدهم أن يمنيهموها بقوله: ﴿ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم﴾. وقد اختلف المفسرون في تناولهم لهذه الآية.

فمنهم من ذكر الرأيين اللذين ذكرهما الطبري، وإن كانوا لم يفاضلوا بينهما مثل الماوردي قال:[٢٠٦] "في الكلام مضمر محذوف.. على قولين أحدهما عبدة الأوثان، والثاني أهل الإسلام، وكذلك قال: البغوي[٢٠٧]، وذكر الزمخشري[٢٠٨] الرأيين مبرراً كلاً منهم دون أن يرجح رأياً على آخر فقال: "الخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعد الله، إلا من آمن به، وكذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله....، ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقوله:م: إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيراَ منهم وأحسن حالاً[٢٠٩] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ: لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً﴾،[٢١٠] ﴿لَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى﴾، وكان أهل الكتاب يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه. لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة، ويعضده تقدم ذكر أهل الشرك قبله".

وذكر ابن عطية[٢١١] كذلك الرأيين دون ترجيح، وكذلك ابن الجوزي[٢١٢]، والرازي[٢١٣]، والقرطبي وذكر ما أورده النحاس، والرأي الآخر المروي عند الطبري[٢١٤]، وأبي حيان[٢١٥] ذكر الرأيين، وكرر ما قاله الزمخشري، والبيضاوي[٢١٦]، والسيوطي[٢١٧]،

والشوكاني[٢١٨]. ولم يستطع المفسرون الذين جاءوا بعد الطبري أن يغضوا الطرف عما قاله الطبري، وهم جميعاً كانت عيونهم عليه حين ذكروا آراءهم.

وقد اتفق مع الطبري كثيرون وإن اعتمدوا على سبب نزول الآية ومن هؤلاء العكبري[٢١٩] قال: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ اسم ليس مضمر فيها، ولم يتقدم له ذكر، وإنما دل عليه سبب الآية، وذلك أن اليهود قالوا نحن أصحاب الجنة، وقال:ت النصارى ذلك، وقال: المشركون لا نبعث، فقال:ليس بأمانيكم: أي ليس ما ادعيتموه" فمن هذا يلحظ أنه فهم منها أن المراد المشركون.

وكذلك قال: النحاس[٢٢٠] "ومن أحسن ما روى فيه ما رواه الحكم بن آبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال:ت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة إلا من كان منا، وقال:ت قريش لن نبعث فأنزل الله ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾.

ومنهم من وافق رأي الطبري فلم يذكر إلا المعنى الذي رجحه الطبري كالنسفي[٢٢١] قال: "ليس الأمر على شهواتكم، وأمانيكم أيها المشركون أن تنفعكم الأصنام"، وقال: البقاعي[٢٢٢] ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ أي أيها العرب، ﴿وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، أي التي يمنيكم جميعاً بها الشيطان.

فلم يحصر الطبري معني الآية مستقلة عن غيرها من آيات السورة، وإنما نظر إليها علي أنها جزء من كل، لا يتحدد معناه إلا في ضوء المفهوم الإجمالي للسورة، ويمكن القول إن الطبري حين يفاضل بين الاختيارات في معنى آية ما، فإنه يري أن الأولي بالصواب هو الرأي الذي يقدم الآية في نطاق السورة بأكملها، ولا يعاملها كوحدة منعزلة بذاتها.

ففي تفسيره لقوله تعالى:[٢٢٣] ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾، قال: الطبري:[٢٢٤] اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك:

- فقال بعضهم: ولا تعط عطية لتعطي أكثر منها.
- وقال آخرون: ولا تَمْنَنْ عملك علي ربك تستكثر.
- وقال آخرون: لا تضعف أن تستكثر من الخير، ووجهوا معني قوله: " وَلَا تَمْنُن " أي لا تضعف، من قوله:م حبل منين: إذا كان ضعيفاً.
- وقال آخرون: لا تَمْنُن بالنبوة علي الناس، تأخذ عليه منهم أجراً.

ثم بين أن أولي هذه الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: معني ذلك "ولا تَمْنُن علي ربك من أن تستكثر عملك الصالح"، مبررا هذا الاختيار، "لأن ذلك في سياق آيات تقدم فيهن أمر الله لنبيه بالجد في الدعاء إليه، والصبر علي ما يلقى من

الأذى فيه، فهذه بأن تكون من أنواع تلك، أشبه منها بأن تكون من غيرها".

فاختار الطبري المعني المتوافق مع الآيات التي انتظمت معها السورة، بما يتوافق مع الآيات السابقة عليها، وأن المراد هو "لا تمنن علي ربك أن تستكثر عملك الصالح"، وأن النبي ليس له أن يمن علي الله من عمله الصالح، ودلل علي ذلك بالآيات السابقة علي هذه الآية، ففيها أمر من الله للرسول بالجد في الدعاء إليه، والصبر علي ما يلقي من الأذى فيه.

وقد اختلف الطبري مع الفراء في ذلك قال: الفراء معناه[٢٢٥] "لا تعط في الدنيا شيئا لتصيب أكثر منه، وهي قراءة عبد الله "وَلَا تَمْنُن أن تَسْتَكْثِرُ" فهذا شاهد علي الرفع في تستكثر، ولو جزمه جازم علي هذا المعني كان صواباً، والرفع وجه القراءة والعمل". وكذلك قال: العكبري "تَسْتَكْثِرُ" بالرفع علي أنه حال، وبالجزم علي أنه جواب أو بدل، وبالنصب علي تقدير لتستكثر، والتقدير في جعله جواباً: إنك أن لا تمنن بعملك أو بعطيتك تزدد من الثواب لسلامة ذلك من الإبطال بالمن علي ما قال:ه تعالى[٢٢٦] ﴿لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾

واكتفي بعض المفسرين بإيراد الآراء المختلفة، ولكن دون إبداء رأيهم في أي الآراء أصوب كالبغوي[٢٢٧] ذكر الآراء التي ذكرها الطبري، ولكن دون أن يرجح بينها.

وقد ذكر بعض المفسرين ثلاثة آراء من مجموع ما ذكر الطبري، ولم يرجح بينها، ومن ضمنها الرأي الذي اختاره الطبري كالزمخشري[٢٢٨] قال:" أي: ولا تعط مستكثراً رائياً لما تعطيه كثيراً، أو طالباً للكثير..وفيه وجهان، أحدهما أن يكون نهياً خاصاً برسول الله ﷺ،..الثاني أن يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولأمته، وقرأ الحسن تستكثر بالسكون..كأنه قيل ولا تمنن لا تستكثر، على أنه من المن في قوله: عز وجل[٢٢٩]﴿ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنّاً وَلاَ أَذًى﴾، لأن من شأن المنان بما يعطي أن يستكثره أي: يراه كثيراً ويعتز به".

وزاد بعضهم الآخر في هذه الآراء، ولكن دون ترجيح أيضاَ مثل ابن عطية فقال:[٢٣٠] "اختلف المتأولون في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ فقال: ابن عباس: لا تعط عطاء لتعطى أكثر منه، وقال: الضحاك هذا خاص بالنبي، ومباح لأمته، لكن لا أجر لهم فيه، قال: مكي: وهذا معنى قوله تعالى:[٢٣١] ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّباً لِّيَرْبُوَ﴾. قال: القاضي أبو محمد، وهذا معنى أجنبي من معنى السورة.....قال ابن عباس: لا تقل دعوت فلم أجب..وعن قتادة لا تدل بعملك، ففي هذا التأويل تحريض على الجد، وقال: ابن زيد لا تمنن على الناس بنبوتك تستكثر بأجر، أو كسب تطلبه

منهم، وقال: الحسن لا تمنن على الله تعالى بجدك تستكثر أعمالك، ويقع لك بها إعجاب فهذه كلها من المن الذي هو تعديد اليد وذكرها، وقال: مجاهد، ولا تضعف تستكثر ما حملناك من أعباء الرسالة، أو تستكثر من الخير". ومنهم من ذكر بعض هذه الآراء دون ترجيح أيضاً مثل البيضاوي[٢٣٢]: "أي لا تعط مستكثراَ،... ولا تمنن على الله بعبادتك مستكثراً إياها، أو على الناس بالتبليغ مستكثراً به الأجر منهم أو مستكثراً إياه".

وذكر الرازي كثيراً من هذه الآراء، ولكنه اختلف معهم في بيانه لعلة كل رأي بما يتناسب مع الآية، ولم يرجح رأياً على آخر فقال:[٢٣٣] "ذكروا في تفسير الآية وجوهاً أحدها: أنه تعالى أمره قبل هذه الآية، بأربعة أشياء إنذار القوم، وتكبير الرب، وتطهير الثياب، وهجر الرجز، ثم قال: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ أي لا تمنن علي ربك بهذه الأعمال الشاقة كالمستكثر لما تفعله بل أصبر علي ذلك كله لوجه ربك، متقرباً بذلك إليه غير ممتن به عليه، قال: الحسن: لا تمنن علي ربك بحسنات فتستكثرها، وثانيها: لا تمنن علي الناس بما تعلمهم من أمر الدين، والوحي كالمستكثر لذلك الإنعام، فإنك إنما فعلت ذلك بأمر الله فلا منة لك عليهم، ولهذا قال:[٢٣٤] ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرِ﴾، وثالثها: لا تمنن عليهم بنبوتك لتستكثر. أي لتأخذ منهم علي ذلك أجراً، ورابعها: لا تمنن أي لا تضعف من قوله:م حبل منين أي ضعيف، والتقدير فلا تضعف أن تستكثر من هذه الطاعات الأربعة التي أمرت بها قبل هذه الآية، ومن ذهب إلي هذا قال: هو مثل قوله: [٢٣٥]﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾، وخامسها: وهو قول أكثر المفسرين: لا تعط يقال: مننت فلاناً كذا أي أعطيته، سميت العطية بالمن علي سبيل الاستعارة، فالمعني لا تعط مالك لأجل أن تأخذ أكثر منه، والحكمة من هذا التأويل أولاً لأجل أن تكون عطاياه لأجل الله، وثانيا أن من أعطي غيره القليل من الدنيا ليأخذ الكثير لابد وأن يتواضع لذلك الغير، ويتضرع له وذلك لا يليق بمنصب النبوة، ولهذا السبب حرمت الصدقات عليه، هذا النهي مختص بالرسول، وظاهر اللفظ لا يفيد العموم، وقرينة الحال لا تقتضي العموم، لأنه عليه الصلاة والسلام إنما نهي عن ذلك تنزيهاً لمنصب النبوة، وهذا المعنى غير موجود في الأمة".

ومن المفسرين من توسع في المقصود بها فزاد على الآراء الواردة عند الطبري، ولكنه اختار أيضاً رأياً مخالفاً مثل القرطبي[٢٣٦] قال: فيها أحد عشر تأويلاً فذكر الأربعة آراء التي ذكرها الطبري، وأضاف عليها: لا يعظم عملك في عينك أن تستكثر من الخير فإنه مما أنعم الله عليك،..لا تمنن بالنبوة والقرآن على الناس فتأخذ

به أجراً تستكثر به، لا تعط مالك مصانعة، إذا أعطيت عطية فأعطها لربك، لا تقل دعوت فلم يستجب لي، لا تعمل طاعة وتطلب ثوابها، ولكن أصبر حتى يكون الله هو الذي يثيبك عليها..، لا تفعل الخير لترائي به الناس". ثم قال: "هذه الأقوال وإن كانت مرادة فأظهرها قول ابن عباس: لا تعط لتأخذ أكثر مما أعطيت من المال..فكأنه أمر بأن تكون عطاياه لله"، وبرر بعض الآراء الأخرى أيضاً.

ومنهم من ذكر الآراء الواردة عن الطبري فقط، ولكنه اختار رأياً مخالفاً له، دون تبرير لذلك مثل ابن كثير[٢٣٧] فعرض هذه الأقوال قال: قال ابن عباس: لا تعط العطية تلتمس أكثر منها..، لا تمنن بعملك على ربك تستكثره، كذا قاله الربيع بن أنس، واختاره ابن جرير...، وعن مجاهد..لا تضعف أن تستكثر من الخير..، قال: ابن زيد لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها.. فهذه أربعة أقوال، والأظهر القول الأول".

وكذلك قال البقاعي حيث قال: "ولا تعط شيئاً حال كونك تستكثره أي تطلب أن تعط أجراً أو أكثر مما أعطيت من قوله:م من إذا أعطي، وذلك لأنه الأليق بالمعطي من الخلق أن يستقل ما أعطي فإنه إذا أزال الاستكثار حصل الإخلاص.

ويستهدي الطبري بالآيات السابقة في الوصول إلي المعني المراد من الآية، ففي بيانه لقوله تعالى:[٢٣٨] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾، عرض الدلالات الظنية للآية، واختلاف العلماء في ذلك:

– فقال بعضهم[٢٣٩]: معناه نجعل بعضهم لبعض وليا علي الكفر بالله.

– وقال آخرون: معناه نتبع بعضهم بعضا في النار من المولاة، وهو المتابعة بين الشيء، والشيء من قول القائل: واليت البيت بين كذا وكذا، إذا تابعت بينهما.

– وقال: آخرون: نسلط بعض الظلمة علي بعض.

ثم قال: [٢٤٠] "إن الأولي بالصواب قول من قال: معناه: وكذلك نجعل بعض الظالمين لبعض أولياء"، مستهديا في ذلك بالسياق الذي وردت فيه، والنسق التعبيري الذي ضمها فعلل ذلك بقوله:[٢٤١] "لأن الله ذكر قبل هذه الآية ما كان من قول المشركين فقال: جل ثناؤه:[٢٤٢] ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾، وأخبر جل ثناؤه أن بعضهم أولياء بعض، ثم عقب خبره ذلك بخبره عن أن ولاية بعضهم بعضاً بتوليته إياهم، فقال: وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجن والأنس أولياء بعض، يستمتع بعضهم ببعض، كذلك نجعل بعضهم أولياء بعض في كل الأمور، بما كانوا يكسبون من معاصي الله".

– واكتفى بعض المفسرين بذكر بعض هذه المعاني التي ذكرها الطبري، وأضاف عليها، ومن هؤلاء الماوردي[٢٤٣]: قال: فيه أربعة معان منها، وكذلك نولي بعضهم عذاب بعض في النار، والآخر وكذلك نكل بعضهم إلى بعض فلا نعينهم، ومن سلب معونة الله كان هالكاً، ولم يذكر المعنى الثالث عند الطبري، وهو نسلط بعض الظلمة علي بعض. ولكنه لم يرجح بينها.

– وذكر الزمخشري رأيين في هذه الآية أحدهما ما رجحه الطبري فقال:[٢٤٤] " نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضاً كما فعل الشياطين، وغواة الإنس، أو يجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة، وقرناءهم كما كانوا في الدنيا".

– وأضاف ابن الجوزي[٢٤٥] رأياً رابعاً على ما ذكره الطبري، وهو مما أضافه الماوردي وهو "نكل بعضهم إلى بعض ولا نعينهم".ولم يرجح أيضاً بينها.

ومما ذكر الآراء الواردة عند الطبري دون ترجيح القرطبي[٢٤٦]، وكذلك البيضاوي[٢٤٧] قال:" نكل بعضهم إلى بعض، أو نجعل بعضهم يتولى بعض فيغويهم، أو أولياء بعض قرنائهم في العذاب كما كانوا في الدنيا"، وكذلك النسفي ذكر الآراء دون الترجيح فقال:[٢٤٨] "نتبع بعضهم بعضاً في النار، أو نسلط بعضهم على بعض، أو نجعل بعضهم أولياء بعض".

– وأعاد هذا الكلام أبو حيان[٢٤٩]. وكذلك الشوكاني، ولكنه قدم أولاً الرأي الذي رجحه الطبري قال:[٢٥٠] "أولياء لبعضهم بعضاً، ثم يتبرأ بعضهم من البعض فمعنى نولي على هذا نجعله ولياً له. وقال: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم معناه نسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس وروي عنه أيضاً: نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله فيكون الآية على هذا تهديد للظلمة، وقيل معنى نولي نكل بعضهم إلى بعض فيما يختارونه من الكفر".

– وقال: الرازي إن هذه الآية دليل لنا في مسألة الجبر، والقدر، وفيها فوائد[٢٥١] "الفائدة الأولى– أنه تعالى لما حكى عن الجن والإنس أن بعضهم يتولى بعضا، بين أن ذلك إنما يحصل بتقديره وفضله، فقال: "وكذلك نولي"،...الفائدة الثانية أنه تعالى لما بين في أهل الجنة أن لهم دار السلام، بين أنه تعالى وليهم بمعني الحفظ، والمعونة والنصرة، فكذلك لما بين حال أهل النار ذكر أن مقرهم، ومثواهم النار، ثم بين أن أولياءهم من يشبههم في الظلم، والخزي، والنكال، وهذه مناسبة حسنة لطيفة، الفائدة الثالثة: كاف التشبيه في قوله: ﴿وكذلك نولي﴾ تقتضي شيئا تقدم ذكره. والتقدير كأنه قال: كما أنزلت بالجن والإنس الذين تقدم ذكرهم العذاب الأليم الدائم الذي لا مخلص

له، كذلك نولي بعض الظالمين بعضاً. الفائدة الرابعة: "وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي. "لأن الجنسية علة الضم فالأرواح الخبيثة تنضم إلي ما يشاكلها في الخبث، وكذا القول في الأرواح الطاهرة، فكل أحد يهتم بشأن من يشاكله في النصرة، والمعونة، والتقوية.

المسألة الثانية: الآية تدل علي أن الرعية متى كانوا ظالمين، فالله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم، فإن أرادوا أن يتخلصوا من ذلك الأمير الظالم فليتركوا الظلم". فنجد أن الرازي ذكر لكل معنى من المعاني فائدة في هذه الآية، ولم يرجح رأياً على آخر. وقد فهم الطبري الآية القرآنية في ضوء ما سبقها من الآيات، لأن الوحدة في القرآن الكريم لا تقف عند الآية فقط، وإنما تتوسع لتشمل السورة بأكملها، فالآيات كيانات متصلة، ومترابطة يجمعها خيط واحد هو السورة، وليس أدل علي ذلك من تفسيره لقوله تعالى:[٢٥٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ﴾.

بين أن أهل التأويل اختلفوا في تأويل ذلك[٢٥٣]:

– فقال بعضهم: عني الله عز وجل بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي ببعض أنبيائه الذين بعثوا قبل محمد بعد إيمانهم"، ﴿ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً﴾ بكفرهم بمحمد، ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ عند حضور الموت، وحشرجة بنفسه.

– وقال: آخرون معني ذلك إن الذين كفروا من أهل الكتاب بمحمد، بعد إيمانهم بأنبيائهم ﴿ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً﴾ يعني ذنوبا ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ من ذنوبهم، وهم علي الكفر مقيمون.

– وقال: آخرون بل معني ذلك إن الذين كفروا بعد إيمانهم بأنبيائهم، ثم ازدادوا كفراً يعني بزيادتهم الكفر بما هم عليه حتى هلكوا، وهم عليه مقيمون، لن تقبل توبتهم: لن تنفعهم توبتهم الأولي، وإيمانهم لكفرهم الآخر وموتهم.

– وقال: آخرون معني قوله: ﴿ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً﴾ ماتوا كفاراً، فكان ذلك هو زيادتهم من كفرهم، وقال:وا:معني "لن تقبل توبتهم " لن تقبل توبتهم عند موتهم."

تتحدث الآيات السابقة عن هذه الآية في السورة عن قصص الأنبياء، وتكذيب قوم كل نبي به، والعذاب الذي أوقعه الله عليهم، ليكونوا عبرة للذين يكذبون الرسل، ولا يؤمنون بهم، ولهذا السياق فهم الطبري قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إنه عني بهم اليهود مبرراً ذلك بأن الآيات قبلها نزلت فيهم، فأولي أن تكون هي في معني ما قبلها، وبعدها إذا كانت في سياق واحد. ثم ازدادوا كفراً، بما أصابوا من الذنوب في كفرهم، ومقامهم على ضلالتهم.

ولقد رأينا أن بعض المفسرين وجهوا الآية ففهموا منها ما قال:ه الطبري، ولئن حصر الطبري معني الآية في اليهود فقد توسع الشوكاني، فجعلها تشمل اليهود والنصارى فلم يعرض إلا رأياً واحداَ، وهو الذي رجحه الطبري، ولكنه أضاف إليها النصارى قائلاً [٢٥٤]"نزلت في اليهود والنصارى. ثم ازدادوا كفراَ بإقامتهم على كفرهم. وقيل بالذنوب التي اكتسبوها، ورجحه ابن جرير الطبري وجعلها في اليهود خاصة".

واختلف من أتي بعد الطبري في هذه الآية: فنجد االماوردي[٢٥٥] ذكر جميع الآراء التي ذكرها الطبري، وأضاف إليها رأياً رابعاً خاصاً بالكفار وهو"أنهم قوم ارتدوا ثم عزموا على إظهار التوبة على طريق التورية"، وكذلك أضاف البغوي[٢٥٦] على ما ذكره الطبري أنها: نزلت في جميع الكفار أشركوا بعد إقرارهم بأن الله خالقهم، ثم ازدادوا كفراَ أي أقاموا على كفرهم. قال الحسن: ثم ازدادوا كفراَ كلما نزلت آية كفروا بها، قال الكلبي: نزلت في أحد عشر من أصحاب الحارث بن سويد لما رجع الحارث إلى الإسلام أقاموا هم على الكفر بمكة، وقالوا: نقيم على الكفر ما بدا لنا فمتى أردنا الرجعة نزل فينا ما نزل في الحارث، فلما افتتح رسول الله مكة فمن دخل منهم في الإسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم كافراً" إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار، وكذلك قال: أبي حيان[٢٥٧].

وذكر فيها ابن الجوزي ثلاثة آراء دون ترجيح أيضاً[٢٥٨]، وذكر البيضاوي[٢٥٩] ثلاثة آراء فقط من الآراء التي ذكرها الماوردي، والبغوي فلم يذكر النصارى، ولم يرجح أيضاً بين الآراء الثلاثة، وهم "اليهود كفروا بعيسى..، اليهود كفروا بمحمد...، قوم ارتدوا ولحقوا بمكة.."

وذكر الزمخشري[٢٦٠] رأيين منها فقط دون أن يرجح واحداً أيضاً "اليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى، ثم ازدادوا كفراَ بمحمد والقرآن، أو كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفراَ بإصرارهم علي ذلك،...وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة".

وقال الواحدي:[٢٦١] رأيين أولاً أنها نزلت في اليهود كفروا بعيسى والإنجيل، والثاني نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد..

ويتأكد لنا من هذا أن الطبري وإن كان يعد النموذج الأمثل للتفسير بالمنقول إلا أنه يضرب بسهم في مجال التفسير العقلي، وينعكس ذلك في أنه حين يختار رأياً لا يقدمه لنا، ويمضي إلي حاله شأن كثير من المفسرين، ولكنه يقف عنه مدافعاً، ويقدم الأدلة التي تناصره، والبراهين التي تؤيده.

أنظر شواهد أخرى على ذلك[٢٦٢]

الخاتمة:

أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

١-أوضح البحث حرص ابن جرير الطبري على العرض الشامل لقضايا التفسير وذكر أقوال العلماء فيها وحرصه على بيان علل الأقوال وتوجيهها وحرصه على الموازنة بين الأقوال واختيار الراجح منها. وحرصه على إيراد أدلة وتوجيهات كل مذهب من مذاهب السابقين وكل قول من أقوالهم.

٢-أثبت البحث موضوعية ابن جرير في رد بعض الأقوال بعد أن يسجل عللها وأدلتها.

٣-أبرز البحث اتساع مساحة الرأي في تفسير ابن جرير الطبري وقد بناها على أسس علمية راسخة.

٤-بين البحث أنه إذا كان ابن جرير الطبري قد اعتمد اعتمادا واسعا في تفسيره على تفسير القرآن بالقرآن حيث يُعد أهم أنواع التفسير وأشرفها، ولكن وجدنا اتساع لمساحة الرأي أيضا.

٥-سلك الطبري بالتفسير مسلكا علميا منهجيا يقوم على الاستدلال السليم، ويستند إلى الدليل.

٦-بين البحث أن ابن جرير الطبري اتخذ منهجا سويا حيث جمع بين النقل والعقل في الفهم والاستنباط والتأويل.

٧-أوضح البحث بالأدلة والشواهد أن الامام الطبري وإن كان إماما في التفسير بالمأثور إلا أنه تجاوزه إلى الاجتهاد بالرأي مما يدل على استقلال فكره وعمق رأيه.

هوامش البحث:

[١]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج٢ص١٧٥ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية بيروت – الطبعة الثانية ١٣٩١هـ- ١٩٧٢م

[٢]- انظر ترجمة للإمام الطبري عند: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج٢: ص١٦٢ دار الكتب العلمية.بيروت.

- السيوطي: طبقات المفسرين: ص٨٢: دار الكتب العلمية: بيروت.
- ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج٤ص١٩١: دار الثقافة بيروت: تحقيق إحسان عباس.
- ابن النديم: الفهرست ص٣٨٥، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٦، الطبعة الأولى.

[٣]- معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب

[٤]- الحموي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ج١٨ص٤٩.

[٥]- الذهبي: سير أعلام النبلاء: ج١٤، ص٢٧٤
- وانظر أيضا: ابن كثير: البداية والنهاية: ج٧، ص٤٣٧، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦ الطبعة الأولى.
[٦]- انظر: الحموي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ج١٨ص٤٩ وص ٥٦.
[٧]- قال: الذهبي: منهم ما يزيد على أربعين شيخا.انظر: الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٦٩، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، الطبعة الثالثة.
[٨]- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤ ص٢٦٧.
[٩]- انظر: الذهبي: أعلام النبلاء، ج١٥، ص٥٤٤.
[١٠]- الخطيب البغدادي: تاريخ بغدادج٢ص٥٤٨. ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء ج١ص٧٢
[١١]- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج٢، ص١٦٣، انظر أيضا النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص٩٥.
[١٢]- ابن النديم: الفهرست ص٣٨٥- ٣٨٦. وانظر أيضا: الذهبي: سير أعلام النبلاء د١٤، ص٢٧٣- ٢٧٤.
[١٣]- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٦٧.
[١٤]- السيوطي، طبقات المفسرين العشرين، ص: ٨٢
[١٥]- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ج٢ص٥٠٠
- السيوطي: الإتقان في علوم ج٢ص١٩٠
[١٦]- النووي: تهذيب الأسماء واللغات ج١ص٧٨
[١٧]- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان ج٤ص١٩١
[١٨]- الجموي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج٦، ص٥١٣.
- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج٤، ص٤٣. دار صادر: بيروت ١٩٩٤م تحقيق إحسان عباس.
[١٩]- ابن كثير: البداية والنهاية: ج١١، ص١٢٤، دار عالم الكتب، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م) الرياض.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى: ج٣ص١٢٦، تحقيق ت: د/ محمود محمد الطناجي، د/ عبد الفتاح محمد الحلو،، مصر، دار هجر، ١٤١٣الطبعة الثانية.
[٢٠]- محمد الزحيلي: الإمام الطبري ص٣٣
[٢١]- ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير: ص٩٠.
[٢٢]- السيوطي: طبقات المفسرين: ص٨٢.
[٢٣]- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى: ج١٣، ص٣٨٥تحقيق تعبد الرحمن بن محمد بن قاسم، السعودية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م
[٢٤]- القفطي، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباء النحاة، ج٣، ص٨٩ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٢ الطبعة
[٢٥]- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج٢، ص١٦٣
[٢٦]- المصدر السابق ج٢ص١٦٣- وانظر الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١٤ ص٢٧٢.
[٢٧]- الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن ج١ص٥
[٢٨]- محمد الزحيلي: الإمام الطبري ص١٢٠

[٢٩] الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن ج١ ص٣٥.
[٣٠]– الطبري: جامع البيان ج١ص٥٨.
[٣١]– انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ج٢ ص ٤٤٥ الفيروز بادي: القاموس المحيط ج١ص٢٢١،
[٣٢]– المصباح المنير ج١ص٢١٩
[٣٣] ابن فارس: مقاييس اللغة ج٢ص٤٨٩
[٣٤]– الرازي: المحصول في علم الأصول، ج٥: ص٣٩٧: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة.
[٣٥]– الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، ج٦ ص١٣٠، دار الكتب، ١٤١٤ هـ، الطبعة الأولى.
[٣٦]– ابن فارس: مقاييس اللغةج٢ص٢٣٢
[٣٧]– ابن منظور: لسان العرب ج٤ص٢٦٤
– القاموس المحيط ج١ص٤٩٧
[٣٨]– التهانوي محمد أعلى بن علي: كشاف اصطلاحات الفنون؛، ص٥٠
[٣٩] الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج١ص٣٦
[٤٠] سورة: المائدة آية ١٠٣
[٤١] البحيرة: الناقة التي شقوا أذنها إذا أنتجت خمسة أبطب آخرها ذكر، وكانوا يحرمون ركوبها، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى. السائبة: كان الرجل يقول إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها. وصيلة: كانت الشاة إذا ولدت انثى فهي لهم، وإذا ولدت ذكراً فهي لآلهتهم، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا لآلهتهم– حام: إذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى: انظر الزمخشري: الكشاف ج٢ ص٣٠٣
[٤٢] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٧ص٩٢– ٩٣بتصرف
[٤٣] ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٣ص١٧٨
[٤٤] أبي حيان: البحر المحيط ج٤ص٣٩
[٤٥] انظر البغوي: معالم التنزيل ج٢ص ٧١
[٤٦] الزمخشري: الكشاف ج٢ص٣٠٣
[٤٧] البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج٢ص١٤٦
[٤٨] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٢ص٥٥٢
[٤٩] انظر الشوكاني: فتح القدير ج٢ص١١٧
[٥٠] ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ج٢ص٣٢٩
[٥١] السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج٥ص ٥٦٣بتصرف
[٥٢] سورة: الأعراف آية ١٤٥
[٥٣] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٩ص٥٩ بتصرف
[٥٤] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٩ص٥٩
[٥٥] الثعلبي: الكشف والبيان ج٤ص٢٨٣
[٥٦] انظر الماوردي: النكت والعيون ج٢ص٢٦١
[٥٧] انظر البغوي: معالم التنزيل ج٢ص٢٠٠
[٥٨] ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٤ص٤٦

[٥٩] انظر ابن الجوزي: زاد المسير ج٣ص١٥٣
[٦٠] الرازي: مفاتيح الغيب ج١٤ص٢٤٨
[٦١] انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج٩ص٣٣٠ بتصرف
[٦٢] سورة: الأعراف آية ١٣٧
[٦٣] سورة: القصص آية ٥
[٦٤] أبي حيان: البحر المحيط ج٤ص٣٨٧
[٦٥] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ص٤٧٤
[٦٦] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٣ص١١١
[٦٧] انظر السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج٦ص٥٩٠- ٥٩١
[٦٨] انظر الشوكاني: فتح القدير ج٢ص٣٤٧
[٦٩] سورة يوسف: آيه ٨١
[٧٠] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٣ ص٣٦- ٣٧ بتصرف
[٧١] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٣ ص٣٧
[٧٢] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٣ ص٣٧
[٧٣] العكبري: إملاء ما من به الرحمن ج٢ص٥٧
[٧٤] الثعلبي: الكشف والبيان ج٥ص٢٤٦
[٧٥] انظر البغوي: معالم التنزيل ج٢ص٤٤٣
[٧٦] الزمخشري: الكشاف ج٣ص٣١٤
[٧٧] البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج٣ص١٧٣
[٧٨] النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأول ج٢ص١٢٩
[٧٩] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٤ص٨٨
[٨٠] الرازي: مفاتيح الغيب ج١٨ص١٩٣- ١٩٤
[٨١] انظر الماوردي: النكت والعيون ج٣ص٦٨
[٨٢] انظر ابن عطية: المحرر الوجيز ج٥ص١٣١
[٨٣] انظر ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ج٤ص٢٠١
[٨٤] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج١١ص٤٢٦
[٨٥] انظر أبي حيان: البحر المحيط ج٥ص٣٣٢
[٨٦] سورة: الأنبياء آية ٣٠
[٨٧] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٧ص١٨بتصرف
[٨٨] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٧ص١٩
[٨٩] الفراء: معاني القرآن ج٢ص٢٠٢
[٩٠] البغوي: معالم التنزيل ج٣ص٢٤٣
[٩١] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٥ص٧٩- ٨٠
[٩٢] العكبري: إملاء ما من به الرحمن في وجوه إعراب القرآن ج٢ص١٣٢
[٩٣] انظر الماوردي: النكت والعيون ج٣ ص٤٤٤
[٩٤] انظر ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ج٥ص٢٤٠- ٢٤١
[٩٥] انظر تفصيل لذلك عند أبي حيان: البحر المحيط ج٦ص٢٨٦
[٩٦] ابن عطية: المحرر الوجيز ج٦ص١٦٢- ١٦٣

[٩٧] سورة الطارق: آية ١١، ١٢
[٩٨] انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج١٤ص١٩٧
[٩٩] الرازي: مفاتيح الغيب ج٢٢ص١٦٢- ١٦٣
[١٠٠] سورة: الأنعام آية ة ١٤
[١٠١] سورة: الأنبياء آية ٦٥
[١٠٢] الرازي: مفاتيح الغيب ج٢٢ص١٦٣
[١٠٣] الرازي: مفاتيح الغيب ج٢٢ص١٦٣
[١٠٤] انظر المراغي: تفسير المراغي ج١٧ص٢٤- ٢٥ بتصرف
[١٠٥] سورة: القصص آية ٩
[١٠٦] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢٠ ص٣٣- ٣٤ بتصرف
[١٠٧] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢٠ ص٣٥
[١٠٨] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢٠ ص٣٥
[١٠٩] الفراء: معاني القرآن ج٢ص٣٠٣
[١١٠] الثعلبي: الكشف والبيان ج٧ص٢٣٧
[١١١] الماوردي: النكت والعيون ج٤ص٢٣٧
[١١٢] البغوي: معالم التنزيل ج٣ص٤٣٦
[١١٣] الرازي: مفاتيح الغيب ج٢٤ص٢٢٨
[١١٤] الزمخشري: الكشاف ج٤ص٤٨٥
[١١٥] انظر البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج٤ص١٧٢
[١١٦] ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ج٦ ص٨٩
[١١٧] ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيزج٦ص٥٧٦
[١١٨] أبي حيان: البحر المحيط ج٧ص١٠١
[١١٩] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٦ص٢٢٣
[١٢٠] سورة البقرة: آية٧٦
[١٢١] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١ص٢٧٢بتصرف
[١٢٢] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١ص٢٧٢
[١٢٣] الفراء معاني القرآن ج١ص٥٠
[١٢٤] انظر البغوي: معالم التنزيل ج١ص٨٧
[١٢٥] انظر ابن عطية: المحرر الوجيز ج١ص٢٦١
[١٢٦] انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج٢ص٢١٤- ٢١٥
[١٢٧] الرازي: مفاتيح الغيب ج٣ ص١٤٦
[١٢٨] انظر النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج١ص١٠٣
[١٢٩] ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ج١ص٨٩- ٩٠
[١٣٠] الزمخشري: الكشاف ج٢ص٢٨٨
[١٣١] البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج١ص٨٩
[١٣٢] الشوكاني: فتح القدير ج١ص٢١٧
[١٣٣] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج١ص١٧٦
[١٣٤] سورة: المائدة آية ١٤

[١٣٥] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ص١٥٩- ١٦٠بتصرف
[١٣٦] البغوي: معالم التنزيل ج٢ص٢١- ٢٢
[١٣٧] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ص٦٧
[١٣٨] النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج١ص٤٣٥
[١٣٩] المراغي: تفسير المراغي ج٦ص٧٧
[١٤٠] انظر الزمخشري: الكشاف ج٢ص٢١٧
[١٤١] ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ج٢ص٢٥٤
[١٤٢] ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٣ ص١٣٢
[١٤٣] الرازي: مفاتيح الغيب ج١١ص١٩٣
[١٤٤] انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج٧ص٣٨٤
[١٤٥] أبي حيان: البحر المحيط ج٣ص٤٦٣
[١٤٦] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٢ص٤١٨
[١٤٧] العكبري: إملاء ما من به الرحمن ج١ص٢١١
[١٤٨] النحاس: إعراب القرآن ص٢٢٧- اعتنى نه الشيخ خالد العلي دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م
[١٤٩] الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج١ص٤٠
[١٥٠] سورة الصافات: آية ١٥٨
[١٥١] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢٣ص١٠٨- ١٠٩بتصرف
[١٥٢] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢٣ص١٠٩
[١٥٣] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة كتاب الحاء باب (الحاء والضاد وما يثلثهما) ج٢ص٧٥
[١٥٤] ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة باب(الحاء والضاد والراء)ج٣ص٨٥ . تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن" بنت الشاطيء" الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م
- ابن منظور: لسان العرب فصل الحاء حرف الراء ج٤ص١٦٩
[١٥٥] سورة: القصص آية ٦١
[١٥٦] ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة حرف الحاء باب(الحاء والضاد والراء) ج٣ص٨٦
[١٥٧] الفيومي: المصباح المنير باب الحاء مع الضاض وما يثلثهما ص٥٤ مكتبة لبنان ١٩٨٧
[١٥٨] القاموس: المحيط الفيروز آبادي فصل الحاء باب الراء ص٣٧٦- تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف نعيم العرقسوسي الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م
[١٥٩] سورة: الصافات آية٥٧
[١٦٠] سورة: الصافات آية ١٢٧
[١٦١] الثعلبي: الكشف والبيان ج٨ص١٧٢
[١٦٢] البغوي: معالم التنزيل ج٤ص٤٥
[١٦٣] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج١٨ص١١١
[١٦٤] النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج٣ص١٣٨
[١٦٥] أبي حيان: البحر المحيط ج٧ص٣٦٢
[١٦٦] المراغي: تفسير المراغي ج٢٣ص٨٧
[١٦٧] ابن عطية: المحرر الوجيزج٧ص٣١٥

[١٦٨] الزمخشري: الكشاف ج٥ ص٢٣٣
[١٦٩] انظر ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ج٦ص٣١٣
[١٧٠] الرازي: مفاتيح الغيب ج٢٦ص١٦٨
[١٧١] انظر الشوكاني: فتح القدير ج٤ص٥٤٥بتصرف
[١٧٢] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٦ص٣٤٩
[١٧٣] الماوردي: النكت والعيون ج٥ص٧١
[١٧٤] سورة: الزخرف آية ٥
[١٧٥] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢٥ ص٤٩- ٥٠ بتصرف
[١٧٦] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢٥ ص٥٠
[١٧٧] انظر ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ج٧ص٩٠
[١٧٨] انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٧ص٢١٨- ٢١٩
[١٧٩] الزمخشري: الكشاف عن ج٥ص٤٢٥
[١٨٠] البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج٥ص٨٦
[١٨١] الثعلبي: الكشف والبيان ج٨ص٣٢٨
[١٨٢] الماوردي: النكت والعيون ج٥ص٢١٦
[١٨٣] البغوي: معالم التنزيل ج٥ص١٣٤
[١٨٤] انظر الرازي: مفاتيح الغيب ج٢٧ص١٩٦
[١٨٥] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج١٩ص٧
[١٨٦] سورة: هود آية ٧١
[١٨٧] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٢ص٧٢- ٧٤ بتصرف
[١٨٨] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٢ص٧٤
[١٨٩] سورة: هود آية ٧٠
[١٩٠] الفراء: معاني القرآن ج١ص٢٢
[١٩١] الماوردي: النكت والعيون ج٢ص٤٨٤- ٤٨٥
[١٩٢] انظر ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ج٤ص١٠٣
[١٩٣] انظر الثعالبي: الكشف والبيان ج ٥ص١٧٩
[١٩٤] البغوي: معالم التنزيل ج٢ص٢٩٢ بتصرف
[١٩٥] أبو حيان: البحر المحيط ج٤ص٦١٠
[١٩٦] الرازي: مفاتيح الغيب ج١٨ص٢٦- ٢٧
[١٩٧] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٣ص٥٥٤
[١٩٨] الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج١ص٣٧
[١٩٩] سورة: النساء آية١٢٣
[٢٠٠] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٥ص٢٩٠
[٢٠١] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٥ص٢٩٠
[٢٠٢] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٥ص٢٩٠
[٢٠٣] سورة: النساء آية ١٩
[٢٠٤] سورة: النساء آية ١٢٠
[٢٠٥] سورة: النساء آية١٢٢

[٢٠٦] الماوردي: النكت والعيون ج١ص٥٣١
[٢٠٧] انظر البغوي: معالم التنزيل ج١ص٤٨٢
[٢٠٨] الزمخشر: الكشاف ج٢ص١٥١- ١٥٢بتصرف
[٢٠٩] سورة: مريم آية ٧٧
[٢١٠] سورة: فصلت آية ٥٠
[٢١١] انظر ابن عطية: المحرر الوجيز ج٣ص٢٨
[٢١٢] انظر ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ج٢ص١٩٧
[٢١٣] انظر الرازي: مفاتيح الغيب ج١١ص٥٢- ٥٣
[٢١٤] انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج٧ص١٥٠
[٢١٥] انظر أبي حيان: البحر المحيط ج٣ص٣٧١
[٢١٦] انظر البيضاوي: مدارك التنزيل وحقائق التأول ج٢ص٩٩
[٢١٧] انظر السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج٥ص٣٦
[٢١٨] انظر الشوكاني: فتح القدير ج١ص٨٢٢
[٢١٩] العكبري: إملاء ما من به الرحمن ج١ص١٩٥
[٢٢٠] النحاس: إعراب القرآن ص٢٠٧
[٢٢١] النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج١ص٣٩٨
[٢٢٢] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٢ص٣٢٣
[٢٢٣] سورة: المدثر آية ٦
[٢٢٤] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢٩ص١٤٨- ١٤٩- ١٥٠بتصرف
[٢٢٥] الفراء: معاني القرآن ج٣ص٢٠١
[٢٢٦] سورة: البقرة آية ٢٦٤
[٢٢٧] انظر البغوي: معالم التنزيل ج٤ص٤١٤
[٢٢٨] الزمخشري: الكشاف ج٦ص٢٥٣
[٢٢٩] سورة: البقرة آية ٢٦٢
[٢٣٠] انظر ابن عطية: المحرر الوجيز ج٨ص٤٥٣
[٢٣١] سورة: الروم آية ٣٩
[٢٣٢] البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج ٥ص٣٥٩بتصرف
[٢٣٣] الرازي: مفاتيح الغيب ج٣٠ص١٩٤
[٢٣٤] سورة: المدثر آية ٧
[٢٣٥] سورة: الزمر آية ٦٤
[٢٣٦] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج٢١ ص٣٦٧بتصرف
[٢٣٧] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٨ص٢٦٤
[٢٣٨] سورة: الأنعام آية ١٢٩
[٢٣٩] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٨ص٣٤- ٣٥بتصرف
[٢٤٠] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٨ص٣٥
[٢٤١] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٨ص٣٥
[٢٤٢] سورة: الأنعام آية ١٢٨
[٢٤٣] الماوردي: النكت والعيون ج٢ص١٦٩- ١٧٠

[٢٤٤] الزمخشري: الكشاف ج٢ص٣٩٧
[٢٤٥] ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ج٣ص٨٥
[٢٤٦] انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج٩ص٢٩- ٣٠
[٢٤٧] البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج٢ص١٨٢
[٢٤٨] النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج١ص٥٣٧
[٢٤٩] انظر أبا حيان: البحر المحيط ج٤ص٢٢٥
[٢٥٠] الشوكاني: فتح القدير ج٢ص٢٢٩
[٢٥١] انظر الرازي: مفاتيح الغيب ج١٣ص٢٠٤- ٢٠٣بتصرف
[٢٥٢] سورة: آل عمران آية٩٠
[٢٥٣] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٣ص٣٤٤بتصرف
[٢٥٤] الشوكاني: فتح القدير ج١ص٤٩٠
[٢٥٥] الماوردي: النكت والعيون ج١ص٤٠٨
[٢٥٦] البغوي: معالم التنزيل ج١ص٣٢٤
[٢٥٧] أبو حيان: البحر المحيط ج٢ص٥٤٢
[٢٥٨] انظر ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ج١ص٣٥٤- ٣٥٥
[٢٥٩] البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج٢ص٢٧بتصرف
[٢٦٠] الزمخشري: الكشاف ج١ص٥٧٩
[٢٦١] الواحدي: أسباب النزول ص٩٨
[٢٦٢] الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن ج١ص٢٨٥- ٣٧٢- ٣٧٥- ٤٢٣- ٥١٣- ٥١٩- ٥٢٩- ٥٤٠- ج٢ ص٨٢- ٩٥- ١٣١- ٤٣٨- ج٣ص١٦٧ج٤ص٢١- ٩٨- ١٣٨- ٢٤٢- ١٦١- ٢٠٨- ٢٣٥- ج٥ص٣٦- ١٣٨- ٣٢٨- ج٦ص٤٩- ١٤٠- ١٧١- ٢٠٨- ج٧ص١٧٣- ٢٨٥- ج٩ص١٠٥- ١٣٩- ١٥٥- ١٦١- ج١٠ص١٢٧- ج١١ص٥١- ١٥٠- ج١٣ص٥- ج١٤ص٦٦- ٩٢- ١٥٨- ١٧٢- ١٧٤- ج١٥ص١٣٣- ٧٢- ج١٦ص٢٠٤- ج١٧ص٢٧- ١٣٣- ج٢٠ص٥٦- ج٢١ص٦- ١١٦- ج٢٢ص٣٠- ٤٢- ج٢٣ص١٦٣- ٢٠٠- ج٢٤ص٤-ج٢٥ص٥٧- ج٢٦ص٢٠٠- ج٢٧ص٤٧- ج٢٨ص١٦- ج٢٩ص١١٩- ١٥٠- ١٩٨- ج٣٠ص١٩٢- ٢٢٠- ٣٢٨- ٥٥

المصـــــادر:

القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي، تحقيق شعيب الأرنؤط، اعتنى به، وعلق عليه مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
٢. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء ت، إحسان عباس ط ١ (دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣ م).
٣. إعراب القرآن: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ، اعتنى به الشيخ خالد العلي، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٤.إملاء ما من به الرحمن في وجوه إعراب القرآن: عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري"٥٣٨هـ- ٦١٦هـ"، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولي ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٥.إنباه الرواة على أنباء النحاة: القفطي، علي بن يوسف، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ط ٤ (مصر، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٢ م.
٦.أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، بدون سنة طبع.
٧.البحر المحيط: محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان، تحقيق، وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
٨.البحر المحيط في أصول الفقه: ا بو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتب، ١٤١٤ هـ، الطبعة الأولى.
٩.البداية والنهاية: ابن كثير، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦ الطبعة الأولى
١٠. البرهان في علوم القرآن: محمد بن عبد الله (الزركشي)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ- ١٩٧٢م.
١١. تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، ت بشار عواد معروف، ط ١ (لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م
١٢. تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٠٠هـ- ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١٣. تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م.
١٤. تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
١٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت(٣١٠هـ)، دار الفكر، طبع سنة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
١٦. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ت ٦٧١هـ، تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
١٧. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية الدكتور عبد السند حسن يمامة، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
١٨. زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، تحقيق محمد بن عبد الرحمن عبد الله خرج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
١٩. سير أعلام النبلاء: الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد،، ط ٣ (لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م
٢٠. طبقات الشافعية الكبرى: السبكي، تاج الدين عبد الوهاب،، ت، د. محمود محمد الطناجي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط ٢ (مصر، دار هجر، ١٤١٣

٢١. طبقات المفسرين العشرين: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين،، ت، على محمد عمر، ط ١ (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٣٩٦ هـ

٢٢. غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف الناشر: مكتبة ابن تيمية

٢٣. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن على بن محمد الشوكاني ت١٢٥٠هـ، حققه وخرج أحاديثه الدكتور عبد الرحمن عميرة، وضع فهارسه وشارك في تخريج أحاديثه لجنة التحقيق والبحث العلمي، دار الوفاء، بدون سنة طبع.

٢٤. الإمام الطبري: الشيخ محمد مصطفى الزحيلي.

٢٥. الفهرست: ابن النديم:، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٦، الطبعة الأولى.

٢٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري ت(٥٣٨.٤٦٧هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض شارك في تحقيقه الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٢٧. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة

٢٨. الكشف والبيان: أبو إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي، دراسة وتحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٩. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر بيروت، بدون سنة طبع.

٣٠. مجموع الفتاوى: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم،، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (السعودية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م.

٣١. مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م عدد الأجزاء

٣٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعي الصادق الحناني، مطابع دار الخير، الطبعة الثانية٢٠٠٧م.

٣٣. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة: خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى محرم ١٤٢٧هـ.

٣٤. المحصول في علم الأصول: أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا الرازي موسسة الرسالة، الطبعة الثالثة.

٣٥. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة: علي بن إسماعيل بن سيدة المتوفى سنة ٤٥٨هـ، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن" بنت الشاطيء"، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م.

٣٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله النسفي حققه وخرج أحاديثه يوسف على بديوي، راجعه وقدم له محيي الدين، دار الكلم الطيب بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣٧. المصباح المنير: أحمد بن محمد بن على الفيومي المقري، ت ٧٧٠هـ مكتبة لبنان ١٩٨٧م.

٣٨. معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق خالد عبد الرحمن العك، مروان سوار، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
٣٩. معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ت٢٠٧هـ الجزء الأول تحقيق أحمد يوسف نجاتي، محمد على النجار، دار السرور بيروت لبنان، بدون سنة طبع – الجزء الثاني تحقيق ومراجعة الأستاذ محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون سنة طبع- الجزء الثالث تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ومراجعة الأستاذ على النجدي ناصف، دار السرور بيروت لبنان، بدون سنة طبع.
٤٠. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥هـ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبع ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .
٤١. مفاتيح الغيب: محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
٤٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب الهدي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.
٤٣. النكت والعيون: علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، راجعه وعلق عليه السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، بدون سنة طبع.
٤٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد،، ت، إحسان عباس (لبنان، بيروت، دار صادر ١٩٩٤ م).